

الرقم التسلسلي:.....
رقم التسجيل:

المرجعية الدينية وانعكاساتها على علاقات علماء قسنطينة خلال العهد العثماني (1837-1517)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف الدكتورة:

منى صالحى

شعبة: التاريخ

إعداد الطالب:

عبد النور فايد

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	سمير العيدوني	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	رئيسا
02	منى صالحى	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	مشرفا ومقررا
03	إسماعيل تاحي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	ممتحنا

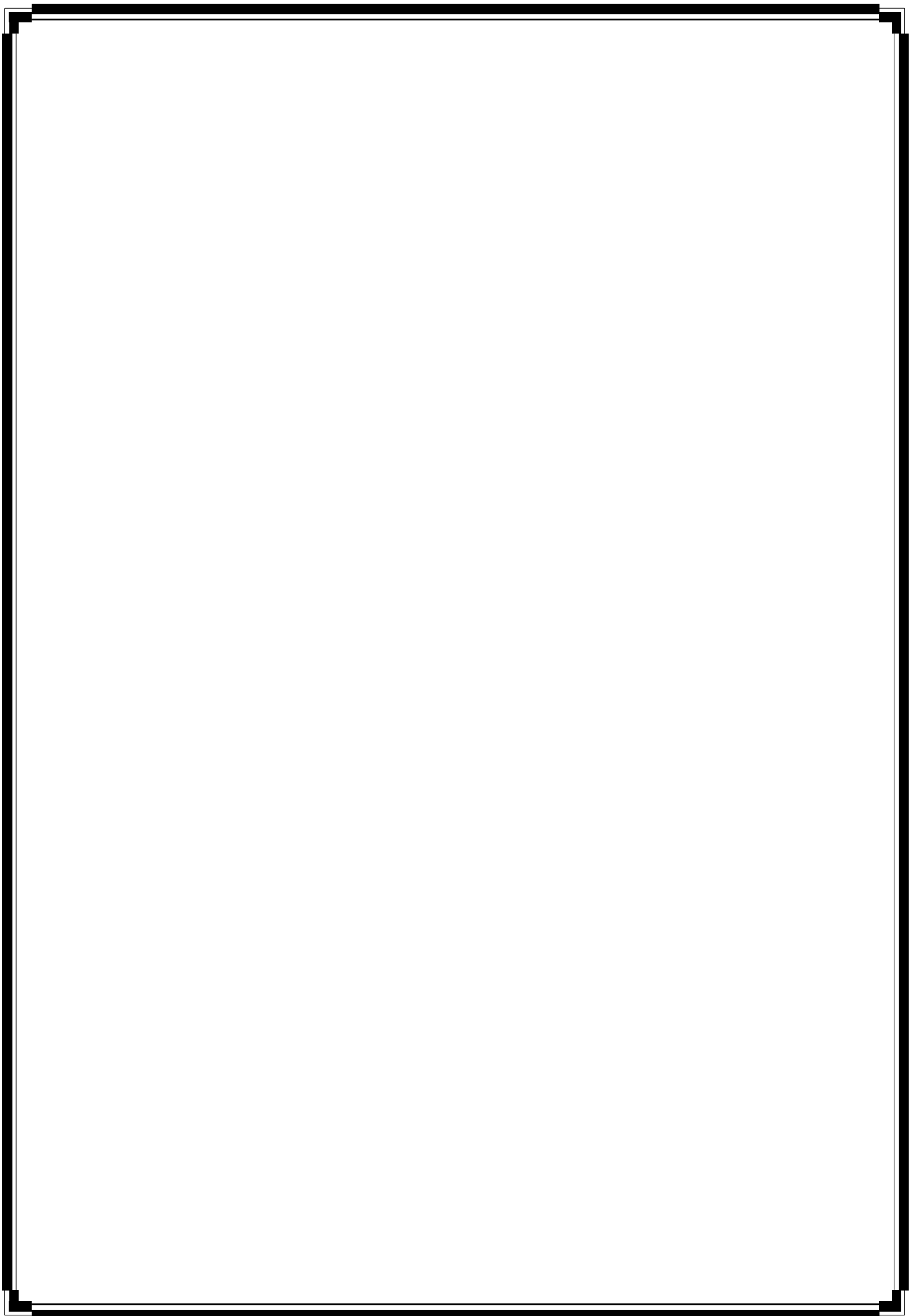
السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

شكر وعرفان

أرى لزاما علي تسجيل الشكر وإعلامه ونسبة الفضل لأصحابه،
استجابة لقول النبي صل الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم
يشكر الله».

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر
فالشكر أولا لله عز وجل على أن هداني لسلوك طريق البحث والتشبه بأهل
العلم وإن كان بيني وبينهم مفاوز.

كما أخص بالشكر أستاذتي الكريمة ومعلمتي الفاضلة المشرفة على هذا
البحث الدكتورة "**صالحى منى**"، فقد كان حريصة على قراءة كل ما أكتب ثم
وجهتني إلى ما يرى بأرق عبارة وألطف إشادة، فلها مني وافر الثناء وخالص
الدعاء. كما أشكر السادة الأساتذة وكل الزملاء وكل من قدم لي فائدة أو
أعانني بمرجع، أسأل الله أن يجزيهم عني خيرا وأن يجعل عملهم في ميزان
حسناتهم.



مقدمة

مقدمة:

عرفت مدينة قسنطينة عبر مسارها التاريخي قيمة سياسية واقتصادية وتاريخية ساهمت في التأثير على واقعها الديني والفكري، حيث كان العلماء والفقهاء جزءا من هذا الواقع الذي لعبوا فيه دورا بارزا مهد لبروزهم وتبوئهم مكانة ذات أبعاد دينية وعلمية اتخذت بعدا صوفيا، وقد بينت الرحلات العلمية المكانة المرموقة التي كان يحظى بها العلماء في قسنطينة، كما يذكر البلوي في رحلته ولقائه بشيوخ قسنطينة وطلبه الإجازة العلمية عنهم واصفا إياهم بذوي السؤدد، وقد أثمر نشاطهم الفقهي بتوالي علماء من خارج المدينة عليهم لأخذ العلم. كما تميز الجانب الفقهي بالبعد الصوفي لعلماء وفقهاء قسنطينة، والذي تأثر بالبعد الصوفي لابي مدين شعيب في بجاية، الذي استطاع أن يرفع من مكانة التصوف، حيث وصل تأثيره إلى الزاوية الملازية التي لعبت بعدا صوفيا بترسيخها للتصوف السني المديني، والذي كان درب علماء وفقهاء قسنطينة، وقد ساهمت في التواصل الصوفي الذي لعب دورا في دفع الالتحام بين المشايخ في اطار التأثير والتأثر، ومن كل ما سبق ذكره فقد اتسمت ملامح المدرسة القسنطينية بتنوع تكوين العلماء الفقهي أو الكلامي الأصولي أو السلوكي الصوفي، ومع مجيئ العثمانيين إلى الجزائر ودخولهم قسنطينة سنة 1517م، بدأت تتضح معالم جديدة مست جميع الميادين، وغيرت الكثير في الجانب العلمي والثقافي وعلى القائمين عليه.

ومن هذا المنطلق جاء اختياري لموضوع دراستي المسمى ب " المرجعية الدينية وانعكاساتها على علاقات علماء قسنطينة خلال العهد العثماني (1517-1837)".

الذي يعالج بعض الجوانب المهمة كتعدد المرجعيات، وعلاقات العلماء فيما بينهم، إضافة إلى علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع معا.

ومن هنا طرح الإشكال المتضمن هذه الدراسة بالصيغة الآتية:

- هل كان للمرجعية الدينية دور في علاقات علماء قسنطينة ببعضهم البعض، وبالسلطة والمجتمع معا؟

ولمناقشة هذا الإشكال وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ما هي أهم المرجعيات وكيف كان تأثيرها على العلاقات بين العلماء؟

- كيف كانت علاقة العلماء فيما بينهم؟

- ما هي طبيعة العلاقات التي جمعت بين العلماء والسلطة وكيف انعكست نتائجها على الطرفين؟

- ما هو الدور الذي لعبه العلماء اتجاه مختلف قضايا المجتمع؟

أما عن دوافع اختياري للموضوع فتمثلت في دوافع ذاتية وموضوعية، فالذاتية تمثلت في رغبتني في المساهمة في كتابة تاريخ علماء الجزائر خلال العهد العثماني، وتسليط الضوء على عدد من العلماء الذين ساهموا بشكل أو بآخر في الحياة الثقافية في المدينة، والوقوف على تراثها الحضاري، أما الموضوعية تمثلت في إثراء المكتبة الجامعية بهذا العمل، والهدف من هذه الدراسة إبراز دور العلماء في المجتمع وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع معا، وانتماءاتهم المرجعية والتراث الذي خلفوه والتنافس بينهم أما الحد الزمني والجغرافي فيشمل العهد العثماني من 1517 تاريخ دخول الترك قسنطينة إلى سنة 1837 نهاية التواجد العثماني بقسنطينة، وقد اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي، أي وصف مدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا وثقافيا، وسرد الأحداث والوقائع الخاصة بالعلماء وبعض الأسر العلمية التي زحرت بهم المدينة.

وكذلك اعتمدت على المنهج التحليلي للوصول إلى النتائج المتمثلة في التراث الحضاري الذي خلده وتركه العلماء خلال الفترة المدروسة، وكذلك تحليل المادة التاريخية والتعليق عليها لمعرفة الأصل والنسب والانتماء الديني لهؤلاء العلماء.

والمنهج المقارن والذي يوضح لنا علاقات العلماء فيما بينهم، ولدراسة الموضوع والإجابة عن التساؤلات المطروحة أنفا اعتمدنا خطة بحث متكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

فالمقدمة يتفرع عنها تمهيد للموضوع مع طرح الإشكالية المصحوبة بأسئلة ثانوية تخدم البحث، كما وضحنا فيها أهمية وأسباب اختيار الموضوع والمنهج المتبع في الدراسة بالإضافة إلى دراسة أهم المصادر والمراجع.

أما **الفصل التمهيدي** فتناولت فيه مظاهر الحياة العلمية بقسنطينة خلال العهد الحفصي الذي سبق العهد العثماني، وتفرعت عنه عدة عناصر تمثلت الأولى في تاريخ وجغرافية مدينة قسنطينة، والعنصر الثاني تضمن المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في قسنطينة من كتاتيب ومدارس ومساجد ومكتبات وزوايا، أما العنصر الثالث فتمثل في طرق التدريس ومقرراته.

وفي **الفصل الأول** تطرقت إلى المرجعيات الدينية وتأثيرها على العلاقات بين علماء قسنطينة خلال العهد العثماني وتفرع عليه مبحثين، **المبحث الأول** تناولت فيه المرجعيات الدينية المتمثلة في المرجعية الفقهية، والمرجعية العقدية، والمرجعية الصوفية، أما **المبحث الثاني** فتناولت فيه تأثير المرجعيات الدينية على العلاقات بين العلماء، وقد تفرع المبحث إلى عنصرين، الأول تمثل في تنافس العلماء بين الأسباب والنتائج، والعنصر الثاني تمثل في التآخي والاحترام بين العلماء.

أما **الفصل الثاني** الذي حمل عنوان علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما، وقد خصصت له مبحثين، **المبحث الأول** تناولت فيه علاقة العلماء بالسلطة وتفرع عنه ثلاثة عناصر وهي: أسباب التحالف والولاء، ومظاهر التحالف والولاء ونتائج التحالف والولاء، وكلها جاءت تحت عنوان رئيس هو التحالف والولاء، أما العنصر الرئيس الثاني فقد حمل عنوان التوتر والعداء وتفرعت عنه ثلاثة عناصر تمثلت في أسباب التوتر والعداء ومظاهر التوتر ونتائج وانعكاسات التوتر والعداء بين العلماء والسلطة، أما **المبحث الثاني** فتناولت فيه علاقة العلماء ب المجتمع ودورهم في معالجة بعض الآفات الاجتماعية وقضايا المرأة القسنطينية.

وفي **ختام** البحث تطرقت إلى مجموعة من الاستنتاجات أجبنا فيها عن الإشكالات المطروح والتساؤلات الفرعية التي وردت في المقدمة.

وقد دعمت بحثي بملاحق عدة عبارة عن مساجد كانت مراكز تعبدية وعلمية في قسنطينة لها علاقة بموضوع البحث.

أما الدراسات السابقة فتناولت العلماء كيبوتات واسر علمية كأطروحة الدكتوراه الحاملة لعنوان: البيوتات والأسر العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي للباحثة: لزغم فوزية

وقد صادفتني جملة من الصعوبات تمثلت في عملية جمع المادة العلمية، وندرة بعض المصادر التي تخدم الموضوع.

وقد اعتمدت في بحثي على عدة مصادر أبرزها، منشورا لهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية للشيخ عبد الكريم الفكون وهو مصدر مهم كان له الأثر الكبير في بحثي كون المؤلف من أبرز وأشهر علماء عصره، إضافة للورتيلاي صاحب كتاب: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار.

كما كان للمراجع دور كبير في إثراء موضوع البحث، ككتب تاريخ الجزائر الثقافي لابي القاسم سعد الله، وكتاب شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعي السلفية لنفس المؤلف، إضافة إلى كتاب أم الحواضر في الماضي والحاضر للهادي شعيب.

بالإضافة لعدة مجلات كمجلة سيرتا، ومجلة المواقف، ومجلة إنسانيات، ومجلة البحوث والدراسات التاريخية، وهناك بعض الرسائل الجامعية والمواقع الإلكترونية.

وفي الأخير اعترف باني ما قدمته حول رجال العلم في الحاضرة العلمية والحضارية قسنطينة خلال العهد العثماني.

الفصل التمهيدي

الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

أولاً: مدينة قسنطينة جغرافياً وتاريخياً:

ثانياً: مظاهر الحياة العلمية في مدينة قسنطينة خلال العهد

الحفصي 13م-16م:

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

عرفت المدينة الفتوحات الإسلامية والهجرات الهلالية، كما كانت حاضرة علمية وحضارية ذاع صيتها في الأمصار إبان عهد بني حفص، حيث اتخذوها عاصمة ثانية لدولتهم، ولكونها حاضرة فقد أنجبت ثلة من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء والمدرسين اثروا مختلف المعارف والعلوم، وكان لهم الفضل في إحياء التراث الثقافي والعلمي والحضاري والفكري في المدينة وخارجها.

إن الزائر لمدينة قسنطينة، يرى فيها كل آيات الجمال، فجغرافيتها ألهمت الزائرين، والمهتمين بعلم الجغرافيا والرحالة، حيث قاموا بوصفها من جميع النواحي كالناحية العمرانية والطبيعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

أولا: مدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا:

تعتبر مدينة قسنطينة من الحواضر التي استلهمت الباحثين نتيجة لموقعها الاستراتيجي وإرثها الحضاري وعمارتها العتيقة فكان لها تأثير على حياة الفرد واستقراره. يشير الحسان الوزان في بداية تعريفه لمدينة قسنطينة إلا أنها مدينة قديمة يعود بناؤها إلى الفترة الرومانية، فهي واقعة على جبل شاهق محاطة من الجنوب بصخور عالية، يمر عند قدميها نهر يسمى "سوفغماز" والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة بصخور أيضا، وفي الشمال أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة الجبل¹ ويصفها توفيق المدني بأنها من أجمل مدن الجزائر وأنها مركز للثقافة والتجارة²، أما إقليمها خلال العهد العثماني، فكان من أكبر الأقاليم، ومساحتها من أوسع المساحات في إيالة الجزائر، فكان يحدها من الشمال البحر ومن الجنوب الصحراء ومن الشرق إقليم تونس، ومن الغرب واد الصمار³.

وتعد قسنطينة من أهم المدن ذات الموروث الثقافي، والتاريخي العريقين عبر التاريخ⁴، وهي مدينة تستهوي الزائرين يأتونها من كل حذب وصوب، فهي تتميز بطبيعتها الخلابة ومناظرها الجميلة، واعتبرت قبلة للنازحين منذ القدم فمؤرخ قسنطينة أحمد اللبيري ذو الأصول

¹مجلة عصور الجديدة، عدد 18، أكتوبر 2015، جامعة وهران، الجزائر، ص 45.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 231.

³ محمد المهدي بن علي ابن شعيب، أم الحواضر في الماضي الحاضر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص 80.

⁴ محمد الهادي عروق، مدينة قسنطينة دراسة جغرافية للعرمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 14-

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

اليونانية يرى أن الكنعانيين من أهل فلسطين قد اندمجوا مع النوميديين وقاموا سنة (1450 ق م) تقريباً بتأسيس مدينة قسنطينة¹.

ويصنفها الباحثون على أنها من أقدم المناطق الإفريقية لتوفرها على المياه ومغارات الكهوف التي يسكنها الإنسان، إضافة إلى عامل الاستقرار التي كانت تنعم به²، ويذكرها المؤرخ القسنطيني (Ernest mercier) ترجمان وشيخ مدينة قسنطينة بأن تاريخ نشأتها يعود لمغادرة الإنسان مساكن الكهوف والمغارات³.

وقد وصفت بجمال عمرانها وتنوعه، كالجوامع والزوايا والدور الجميلة الرائعة والمدارس والأسواق والبناءات المتقنة⁴، وقال عنها الوزان أن أسوارها عتيقة عالية سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية يمر عنها قدميها نهر اسمها سوفغمار والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضاً بصخور بحيث أن الشعب السحيق الواقع بين هذين الجرفين يستعمل كخندق للمدينة تعتبر قسنطينة نقطة عبور القوافل التجارية عبر عدة طرق ومسالك وتمثل سوق كبيرة بين الجهات الأربع للبلاد⁵. وقد شهدت قسنطينة الفتوحات الإسلامية حيث عمت بلاد المغرب الإسلامي فدخلت المدينة تحت حكم العرب الفاتحين في القرن السابع الميلادي (7م)⁶، وعرفت مدينة قسنطينة هجرة بني هلال في القرن الحادي عشر ميلادي عام (1053م) واستقر بها آل عثمان خلال القرن السادس عشر (16م) إلى أن وقعت تحت الاحتلال الفرنسي الذي دام احتلاله لها ولسائر المدن الجزائرية الأخرى لأزيد من قرن وربع القرن⁷.

¹ محمد المهدي بن علي ابن شعيب، المرجع نفسه، ص ص، 37، 80.

² محمد الهادي عروق، المرجع السابق، ص 67.

³ محمد المهدي بن علي ابن شعيب، المرجع السابق، ص 9.

⁴ الوزان حسن بن محمد الفاسي :وصف أفريقيا،ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط2، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983، ص ص 55-56.

⁵فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا ليس، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، 2005، ص 37.

⁶ احمد بن مبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق: عبد الله حمادي، دار الفانز، قسنطينة، 2011، ص 79.

⁷ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 8.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

ثانياً: مظاهر الحياة العلمية في مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13م-16م):

يعتبر العهد الحفصي من أرقى العصور في المغرب العربي الأدنى حيث ارتقى فيه التعليم وازدهرت فيه الثقافة وعرفت فيه البلاد أوج مجدها الحضاري والعلمي والفكري ويرجع السبب في ذلك الى تسارع الوتيرة في الحركة العلمية والتي بدورها أبرزت لنا جيلاً من العلماء قادوا المسيرة العلمية.

وقد كانت قسنطينة من أهم الحواضر التي ساهمت في النمو الثقافي وإرساء القيم الحضارية الإسلامية¹، صنفت كعاصمة سياسية ثانية لدولة بني حفص وارتحل إليها العلماء والطلاب من حواضر الأندلس والمغرب، كما نزح إليها الناس من كل حذب وصوب فزاد عدد سكانها واتسع عمرانها²، وصفها الحسن الوزان وهي تحت ظل الحفصيين بقوله: "وكانت من عادة ملوك تونس أن يعطوا قسنطينة لأبنهم الأكبر"³.

اهتم الأمراء الحفصيين بالعلم والعلماء⁴، مما ساهم في نشاط الحركة العلمية رغم الاضطرابات السياسية⁵، فقاموا بتقريب العلماء ومنحهم وظائف عليا في الدولة ودعموا أعمالهم ذات الطابع الثقافي والعلمي⁶.

ولعل مظاهر هذا الدعم تجلت في إنشاء مؤسسات تعليمية فعلت النشاط الفكري كالمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا إلى جانب ثلة هائلة من العلماء.

1- المؤسسات التعليمية:

¹ كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الاثرية، دار ذاكر، تلمسان، 2012، ص 63.

² عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، العدد 1، جامعة قسنطينة، الجزائر، أبريل، 1988، ص 13.

³ الوزان حسن بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص 56.

⁴ أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، ص 10.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 39.

⁶ يحي بوعزيز، الاوضاع السياسية والثقافية في عصر احمد بن قنفذ الفسطيني (740-806هـ)، مجلة سيرتا للعلوم الاجتماعية، العدد 11، جامعة منتوري قسنطينة، ماي، 1998، ص 100.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

لعبت المؤسسات التعليمية دوراً فعالاً في تنشيط الحياة الثقافية ببلاد المغرب عموماً ومدينة قسنطينة خصوصاً، هذه الأخيرة حظيت برعاية الحكام من خلال بناء الزوايا والكتاتيب والمساجد والمدارس وجلب العلماء.¹

-الكتاتيب:

اعتبرت هي النواة الأولى للحركة التعليمية بمدينة قسنطينة². حيث كانت مختصة بالتعليم فقط والمدرس بها يلقب بمؤدب الصبيان، ومكانها في الغالب يكون في جناح مسجد أو دكان أو حجرة أو غرفة في منزل، وانتشرت في جميع الأحياء وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه³، لعبت الكتاتيب دوراً هاماً في تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقواعد الدين وأولويات الحساب⁴.

وتميز الكتاب ببساطة أثاثه حيث كان يفرس الحصير لجلوس الأطفال وكانت الوسائل التعليمية بسيطة متمثلة في ألواح خشبية مسطحة، وقطع حجر من الصلصال لمحو الألواح، وأقلام مصنوعة من القصب للكتابة ويستفيد الأطفال من يومين للراحة أسبوعياً إضافة إلى أيام الأعياد الدينية⁵، وأدت دوراً كبيراً في تعليم القرآن وتحفيظه للأطفال، إلى جانب تدريس علوم اللغة والنحو والفقه وفنون الخط والكتابة والحساب والشعر⁶.

ب-المدارس:

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 277، 322.

² ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد الرعيني القيرواني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ص 157.

³ محمد سحنون، آداب المعلمين، تحقيق: حسين حسنى عبد الوهاب، تونس، 1972، ص 44.

⁴ أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، ج 1، ص ص 277-332.

⁵ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 157.

⁶ محمد سحنون، المصدر السابق، ص 44.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

تعد منشأة ثقافية مستحدثة في العالم الإسلامي¹، وإن فكرة انتقالها من المشرق الى بلاد المغرب جاءت نتيجة لظهور الصراع السني الشيعي وإذا استخدمت المدرسة لتثبيت الفكر السني والحفاظ عليه²، لقد مهد ظهور أول مدرسة بناها يعقوب المنصور الموحي سنة (593هـ/1196م) إلى ميلاد مدارس نظامية خلال القرن (7هـ/13م) ببلاد المغرب، فكان أبو زكرياء يحي الحفصي أول من أنشأ هذه المدرسة النظامية المسماة المدرسة الشماعية، وتوالت بعد ذلك بناء المدارس في إفريقية في النصف الثاني من قرن (7هـ/13م)³، أما قسنطينة فلم تكن أقل عناية بالمدارس لذا نجد أنه إنتشر بها الكثير من الابتدائيات في عهد بني حفص، ورغم أن تطور إنشاء المدارس لا تأكده لنا الاحصائيات في المصادر المختلفة إلا أن الدارس لمنشور الهداية يرى أن حالة المدارس لم تكن سيئة⁴، كما أفاد الوزان أنه يوجد بها مدرستان⁵.

ويذكر سعد الله أن مدينة قسنطينة كانت تشع بمدارسها، وأن التعليم لجميع مستوياته انتشر فيها⁶، ويذكر ابن الفكون مدرستين هما: مدرسة الفكونيين ومدرسة إينافونس الذي عاش في القرن (10هـ/16م)، وينتمي إلى عائلة مشتهرة بالتصوف والعلم⁷.

لم يبخل السلاطين الحفصيون ببناء المدارس واقتناء الكتب لها، كالمدرسة الجديدة بقسنطينة التي أقام بها الأمير أبو زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق مالك بجاية وقسنطينة عام

¹ ابن عمر علال، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7-10هـ / 13م-16م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011، ص37.

² صالح بن قرية واخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للجزائر، 2007، ص136.

³ قويدر عباس، المؤسسات التعليمية في المغرب الاوسط خلال القرن (8هـ/14م) دورية كان التاريخية، العدد18، دار الناشري، الكويت، 2012، ص86.

⁴ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص275.

⁵ الوزان حسن، المصدر السابق، ج2، ص56.

⁶ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 45-46.

⁷ عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1987، ص48.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

(684هـ/1285م)، فأوقف لها الحبوس وتولى أمرها¹، لذا نقول إن المدرسة لعبت دوراً في تنمية النشاط الفكري والعلمي من خلال تدريس العلم وإيواء الطلبة².

ج- المساجد:

يعتبر المسجد كثاني مؤسسة تعليمية وهو بمثابة المعهد أو الجامعة، تنظم فيه دروس الإرشاد والوعظ وتعد في الحلقات وتنظم فيه المناظرات العلمية³، وتقرأ فيه مراسيم الدولة ويجتمع فيه أصحاب المصالح، هو قلب القرية في الريف، روح الحي في المدينة⁴. كما توفر المساجد المناصب الكثيرة كالإمام والمؤذن والقيم والمدرس والحارس وأهل الفتوى وقراء الحزب وأعتبر المؤسسة التي احتضنت طلبة العلم قبل ظهور المدرسة⁵، وقد شيدت بقسنطينة الكثير من المساجد كالجامع الكبير والذي يرجع بناؤه إلى القرن (12/هـ06) في عهد بن حماد⁶.

كما ذكره الحسن الوزان أثناء زيارته لقسنطينة في ق 10هـ/16م بقوله: "...قسنطينة، مليئة بالدور الجميلة والبنائات المحترمة كالجامع الكبير..."⁷، درّس به الكثير من المشايخ والعلماء نذكر منهم: محمد عيسى الشاذلي البوزيدي، ومحمد المكي أبوطالبي⁸. كما كانت مساجد قسنطينة توظف أشهر العلماء كالحسن الوزان الذي أفنى معظم حياته في التدريس لاسيما في مسجد السيدة حفصة وتخرج على يده الكثير من تلامذته كعبد الكريم الفكون الجد⁹.

¹ ابن قنفذ ابو العباس احمد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 155.

² صالح بن قرية واخرون، المرجع السابق، ص 141.

³ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002، ص 145.

⁴ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 246.

⁵ عبد العزيز فيلاي، جوانب من الحياة الثقافية، والفكرية، المرجع السابق، ص 75-77.

⁶ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ص 43.

⁷ الوزان حسن، المصدر السابق، ص 94.

⁸ كمال غربي، المرجع السابق، ص 94.

⁹ بن عمر علال، المرجع السابق، ص 37.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

وهناك مساجد أخرى كمسجد سيدي محمد بن أيوب عبد الله الشريف ومسجد أبي عبد الله الصفار (ت761هـ/1359م) ومسجد سيدي الحسين بن مخلوف (ت808هـ/1460م) ومسجد سيدي النقاش برحية الجمال¹، وهكذا كان للمسجد دوراً فعالاً في تنشيط الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة فأوقفت له الحبوس وأعتنى به السلاطين والأمراء².

د-المكتبات:

ظهرت المكتبات في مدينة قسنطينة كغيرها من الحواضر الإسلامية، فأولها أمراء بني حفص أهمية كبيرة من حيث الانشاء أو توفير الكتب لتفي بالغرض الذي أنشأت من أجله فنجد الأمير الحفص أبو زكرياء أنه كان يعتني باقتناء الكتب، ويجعل لها من أهل العلم والصلاح من يهتم بها³.

وقد أثريت المكتبات وتنوعت بفعل هجرة أهل الأندلس إلى إفريقية والمغرب حاملين معهم مصنفاتهم ومكتباتهم⁴، وقد صنفت المكتبات إلى صنفين صنف عام مفتوح للطلبة وجميع القراء ملحق بالزاوية والمدرسة والمسجد، وصنف خاص بالعائلات العريقة في مدينة قسنطينة كعائلة الفكون، وعبد المؤمن، وابن باديس⁵.

وبذلك فقد أدت المكتبات دوراً هاماً كبيراً في أحياء الحركة العلمية والفكرية في قسنطينة.

¹ عبد القادر مباركية، زيد طايب، النخب العلمية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011، ص 36

² ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 246.

³ عبد القادر مباركية، زيد طايب، المرجع السابق، ص 38

⁴ مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرنين (7-9هـ/13-15

م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والاثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-

2010، ص 47.

⁵ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، صص 296-297.

هـ- الزوايا:

هي مؤسسة ذات طابع ثقافي ديني تلقى فيها الدروس وتقام فيها الصلوات الخمس، وأوقفت لها الأعباس¹، وجد بمدينة قسنطينة زوايا تقوم بأدوار تعليمية إضافة إلى إقامة الصلوات المكتوبة وقد أحصاها الوزان مابين الثلاثة إلى الأربع زوايا في العهد الحفصي² وهي: زاوية ابن نعمون، وأولاد جلول، وزاوية ملارة لآل القنفذ، وزاوية آل الفكون هذه الأخيرة لعبت دوراً أساسياً في نشر التعليم قسنطينة³.

كما لعبت زاوية الملا ريا دوراً كبيراً كونها مركز علمي وديني في مدينة قسنطينة واعتبرت كمركز السلطة داخل المدينة وقامت بدور الوسيط بني سلطة بني حفص وأهالي المدينة ما زادها حظوة الأمراء الحفصيين⁴.

2- نظام التعليم طرقه ومقراته:

يعتبر التعليم عامل رئيسي لدفع الحركة الفكرية نحو الإزدهار والتطور ونشر الثقافة والعلم في المجتمع وترقية مختلف العلوم والآداب⁵.

وإذا أخذنا التعليم في مدينة قسنطينة فنقول أنه مرّ بثلاثة مراحل شأنه شأن باقي الحواضر في بلاد المغرب، فالمرحلة الأولى يتعلم فيها التلميذ الخط والكتابة وبعض القواعد العامة وفن القراءة وحفظ القرآن والحديث في الكتاب وهو في سن السادسة، أما في المرحلة الثانية فيتعلم الطلبة روايات القرآن والفقه وقواعد النحو والأدب ليبلغوا مستوى تعليمي يمكنهم من الوصول إلى معرفة أصول الدين وتعاليمه والالمام بالعلوم الإنسانية، وفي ثالث مرحلة، يتعمق ويتوسع طالب العلم في العلوم الدينية كفن القراءات والتوحيد والتفسير والحديث والعلوم

¹ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص148.

² الوزان حسن، المصدر السابق، ج2، ص56.

³ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص265.

⁴ ابن عمر علال، المرجع السابق، ص56.

⁵ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص338.

الفصل التمهيدي — الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)

الاجتماعية كالتاريخ الأدب والفلسفة واللغة ويعتبر المسجد الكبير والمدارس القسنطينة والمسجد الاعظم بالقصبة أماكن لتدريس وتلقين مختلف هذه العلوم¹.

أما الاستزادة في العلم فتكون عبر شد الرجال إلى بعض الحواضر كالقرويين والجامع الأزهر وجامعة الزيتونة².

أ- طرق التدريس:

اختلفت طرق التدريس في هذه الفترة من شيخ إلى آخر ومن مدرسة إلى مدرسة أخرى يرجع هذه الاختلاف إلى التوجهات الفكرية والعلمية للمدارس التي تعلم فيها علماء تلك الفترة، ويمكن تقسيمها إلى طريقتين هما:

* **طريقة التدريس التقليدية:** اعتمدت التلقين والشرح والإلقاء ونعتقد أن أسلوب الطالب سلبياً حيث كان يعتمد على الحفظ بالدرجة الأولى.

* **طريقة النقاش والحوار:** اعتبرت طريقة تدريس حديثة في تلك الفترة تعتمد على السؤال والجواب، انتقلت من بلاد الأندلس إلى المغرب وتعتمد على التعليل والبحث والتحليل والحوار³. وقد لقيت الطريقتان نقداً واستحساناً من طرف ابن خلدون الذي يرى أن الأولى تحمل سلبيات تمثلت على الاعتماد على الحفظ دون البحث والتحصيل⁴، أما الثانية فقد فضلها لما تحمله من إيجابيات في تحصيل العلم، كما أن الزمن المحدد للدراسة قدر بخمسة أيام عدا الخميس والجمعة اللذان يعتبران كيومي راحة لطلاب العلم، وتمتد الدراسة من الفجر إلى وقت صلاة العصر⁵.

¹ عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية، المرجع السابق، صص 77-78.

² عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، لبنان، 2005، ص 605.

³ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 82.

⁴ ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 545.

⁵ عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية، المرجع السابق، ص 82.

ب -مقرراته:

كان الطلبة العلم يقومون بحفظ الكتب المقررة عليهم للأدباء والعلماء وتتنوعت مصادرها ككتب علماء الأندلس والمغرب والمشرق ومن هذه الكتب نجد:

***كتب الفقه:** ككتاب التبصرة لأبي الحسن اللحمي وكتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي.

***كتب التصوف والتذكير:** كرسالة فضل مكة "لأبي سعيد الحسن البصري" وكتاب أبي الفرج الجوزي، ورسالة القشيري "للقشيري".

* **كتب اللغة العربية:** ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، والكامل "للمبرد" والجمل "للزجاجي" والديوان "لأبي العلاء والمعري" والبيان والتبيين "للجاحظ".

***أما كتب أصول الفقه و أصول الدين فنجد كتاب:** المسند الكبير للإمام أحمد بن حنبل وكتاب الإرشاد لأبي المعالي¹.

***كتب تفسير القرآن نجد:** الوجيز في شرح كتاب الله العزيز "لأبي محمد بن الحق بن عطية الأندلسي" وكتاب الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي وأحكام القرآن "للطبري".

* **كتب الحديث:** وهي متنوعة كجامع "الترمذي" وجامع النسائي وكتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس و"مسند مسلم" للمسلم بن الحجاج وجامع البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري وسنن أبي داوود²، إضافة إلى الحساب والفلك والفلسفة والطب والمنطق والتي أعتبرت أقل شأنًا من العلوم الدينية³.

ويتجلى لنا في الأخير أن الحياة العلمية والثقافية في تلك الفترة ساهمت في ظهور وبروز علماء في مدينة قسنطينة اشتهروا بحمل لواء الفكر والعلم والثقافة العربية الإسلامية ساعدهم في ذلك حسن علاقتهم مع الحكام.

¹ أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: (ت 704 هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الافاق، بيروت، 1979، ص ص 27-28.

² عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق 7-10هـ/13-16هـ)، مجلة جامعة قسنطينة، كلية علوم إنسانية، العدد 1، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990، ص 14.

³ عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة، المرجع السابق، ص 14.

الفصل الأول

المرجعيات الدينية وتأثيرها على العلاقات بين علماء قسنطينة خلال العهد
العثماني

المبحث الأول: المرجعيات الدينية

المبحث الثاني: تأثير المرجعيات الدينية على العلاقات بين

العلماء

المبحث الأول: المرجعيات الدينية

عندما نتحدث عن الفقه والإنتاج الفقهي في الجزائر فمن الطبيعي إننا سنركز على إنتاج الفقه المالكي وذلك إن معظم سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك ولكن مع مجيء العثمانيين انتشر المذهب الحنفي أيضا وظهر علمائه وكتبوا ودرسوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة وإذا كانت معظم التأليف في أصول وفروع الإمام مالك فإن ذلك لا يعني أنه لم يكن لعلماء المذهب الحنفي تأليف وآراء ، فعبد القادر الراشدي القسنطيني كان مفتي للحنفية ، لذلك سنتعرض لإنتاج الفقهاء القسنطينيين سواء كانوا على مذهب مالك أو مذهب أبي حنيفة.

كما شاع لدي الجزائريين استعمال تعبير علم الكلام وكانوا يعتبرونه من أهم العلوم، فالرماصي ذكر بأنه أوثق العلوم دليلا وأوضحها سبيلا وأشرفها فوائد أنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته، لذا فإن الخلافات المذهبية والفلسفية ليست إلا نتيجة لمدارسة علم الكلام والتعمق فيه والتمادي في الاستنباط والبحث عن الأدلة وقد كانت العقائد السائدة في هذا العلم عند الجزائريين، عقائد الأشعري وهي عقائد أهل السنة وإلى جانب الفقه وعلم الكلام جاءت روح التصوف التي كانت سائدة ومسيطرة على الحياة الاجتماعية والعلمية في الجزائر عموما وقسنطينة علي وجه الخصوص خلال العهد العثماني ويقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا الميدان، فنحن نجد الكثير من الكتب والرسائل والتقاويد والمنظومات التي تناولها التصوف كالأذكار، والمناقب والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية والمدائح النبوية التي تنتظر للرسول (صلي الله عليه وسلم) نظرة صوفية روحية، ورغم طول الزمن وقدمه فقد ظلت تأليف علم التصوف مصدرا رئيسيا وهاما كتأليف الفكون في مدينة قسنطينة.

ومن خلال ماسبق التطرق إليه في الجانب الفقهي والعقدي والتصوف والتي تعتبر مرجعيات دينية لمعظم العلماء في قسنطينة، حيث كان لها الأثر في التوجه الفكري

والإنتاجي والعلاقاتي للعلماء ومن هنا نتساءل هل استطاع العلماء رغم اختلافاتهم وتوجهاتهم الدينية والعقدية ترك بصمات لهم تتدارسها الأجيال؟

1- المذهب المالكي بالجزائر:

سمي بالمذهب المالكي نسبة للإمام مالك بن انس الذي، ولد بالمدينة المنورة وقد اختلف العلماء في السنة التي ولد فيها (رضي الله عنه) ولكن على الأرجح تكون سنة ميلاده 93هـ ، لأنه روى عن نفسه حيث قال: (ولدت سنة ثلاث وتسعين)، يصنف من أوائل أصحاب المذاهب الذين آثروا الصحابة والتابعين ومن الذين عاينوا قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويعود نسب مالك إلى اليمن وهو ابن انس ابن مالك أبي عامر الأصبحي اليمني وأمه اسمها العالية بنت شريك الأزديّة، وقيل أيضا أنه و أسرته كانوا من الموالي، وذكروا إن جده الأكبر (الأعلى) أبا عامر كان من موالي بني تيم ، وهم البطن الذي كان منه خليفة المسلمين الأول بعد رسول الله (صل الله عليه وسلم) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)¹.

حارب الإمام البدع وأهل الزيغ و الضلال ونصر سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعن مطرف بن عبد الله قال: "سمعت مالكا يقول سن رسول الله (صلى الله عليه وسلم وولادة الأمر من بعده سننا الأخذ بها إتباع لكتاب الله واستكمال طاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها)² .

ذاع صيته في الأمصار وأخذ عنه العلم، فمن بلاد المغرب نجد: أسد بن الفرات بن سنان التونسي المتوفى (213 هـ)، وأبو الحسن علي بن زياد التونسي، الذي كان تلميذ مالك وتوفي سنة (183 هـ)، ومن المشرق أشهب بن عبد العزيز القيسي المتوفى سنة (204 هـ)، وعبد الله عبد الرحمان بن القاسم العنقي، المتوفى سنة (191 هـ)³ وبلغ الإمام مالك مرتبة

¹ محمد ابو زهرة، مالك حياته عصره، آراؤه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1952، ص ص، 24 - 26

² شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج9 ، ط11 ، تحقيق الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1996 ، ص98

³ خير الدين نسيب ، انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب ، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي ، ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس ، وزارة الشؤون الدينية ، عين الدفلى ، الجزائر ، 2008 ، ص66.

مرموقة بين فقهاء وعلماء عصره وتابعيهم فأصبح يلقب بإمام دار الهجرة لصحة ما نقله من الفقه والحديث¹.

وكان كثيرا ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وقد حارب بدعة التصوف التي أحلت سماع الغناء والإنشاد والرقص²، ويذكر ابن الماجشون قائلا: "سمعت مالكا يقول من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا خان الرسالة..."³.

2- مميزات المذهب المالكي:

يعتبر المذهب المالكي من أشد المذاهب الإسلامية محافظة على وجوب طاعة ولي أمر المسلمين، ولم يجز الخروج عن الحكام ولو كانوا ظالمين جائرين غير عادلين⁴. حيث قال مالك: "سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار" خاصة إذا كان الحكم مستقرا لهم⁵، ويرى الخروج عن السلاطين أو الحكام مفسدة جالبة للفتنة، لما رآه علمه من أخبار وماضي الأمة، فيرى في الخروج عن السلطان أو الحكام فوضى مفسدة لمصلحة الأمة، مزعجة للناس الآمنين، ويرى صلاح الحكام والسلاطين من صلاح الأمة، وفسادهم من فسادها⁶.

وفيما يخص أصول الفقه فيمتاز بعدة خصوصيات ومزايا نذكر منها:

¹ إبراهيم القادري بودشيش ، صحوة المذهب المالكي خلال القرن 5هـ / مقال إلكتروني جامعة مكناس ، المغرب .

² أبي فارس عبد العزيز محمد القرواني ، الفتوى المالكية في أفعال الصوفية ، جمع و تحقيق أبو أحمد علي الكندي ، مؤسسة بينونة للنشر و التوزيع ، الإمارات ، 2009 ، ص 06 .

³ أبي فارس عبد العزيز محمد القرواني ، المرجع نفسه ، ص 05 .

⁴ محمد أبو زهرة ، المرجع السابق، ص 208.

⁵ نجم الدين هنتاني ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11م ، منشورات تير الزمان ، تونس ، 2004 ، ص 75 .

⁶ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص 144 .

-وفرة مصادره وكثرة أصوله المتمثلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة وعمل أهل المدينة والقياس والاستحسان وقول الصحابة وشرع من قبلنا والاستصحاب و المصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف والاستقراء، والأخذ بالأحوط ومراعاة الخلاف، بالإضافة إلى القواعد العامة المتفرعة عن هذه الأمهات والتي أنهاها بعض المالكية إلى ألف ومائتي (1200) قاعدة عامة تغطي جميع أبواب الفقه ومجالاته وأعطته قوة وحيوية ووضعت بين أيدي علمائه من وسائل الاجتهاد وأدوات الاستنباط ما يؤهلهم لبلوغ درجة الاجتهاد، ويسهل عليهم ممارسة مهامهم¹.

- تنوع هذه الأصول والمصادر لأنها تتراوح بين النقل الثابت والرأي الصحيح المستمد من الشرع والمستند إليه كالقياس والاستحسان، كما كان للمزاوجة بين العقل والنقل والأثر والنظر الميزة التي ميزت المذهب المالكي عن مدرسة المحدثين ومدرسة أهل الرأي وهي سر وسطيته وانتشاره والإقبال عليه².

-توسعه في انتشار الأصول توسعا كبيرا مما ساعد على سد الفراغ الذي يمكن أن يحس به المجتهد عند ممارسة الاجتهاد والاستنباط.

وهكذا نجده في التعامل مع الكتاب والسنة لا يكتفي بالنص والظاهر، بل يقبل دلالة التبعية ودلالة الاقتران ودلالة السياق، كما يقبل مفاهيم المخالفة كلها ومفاهيم الموافقة وتبنيه الخطاب.

3- علماء الجزائر والمذهب المالكي:

إن المنتبج للتطورات التاريخية للحركة المذهبية في الجزائر يلتمس أثر المذهب المالكي في التكوين العلمي والعطاء المعرفي لعلماء الجزائر عموما وعلماء قسنطينة خصوصا، فقد شكل المذهب المالكي بمصنفاته ومختصراته عماد التكوين الفقهي لدى علماء قسنطينة في العهد العثماني، وأثمر هذا التكوين عطاء علميا متنوعا خدم به علماء قسنطينة

¹ محمد التاويل ، خصائص المذهب المالكي ، جامع القرويين ، فاس ، المغرب ، 2004 ، ص 03 .

² محمد التاويل ، المرجع نفسه ، ص 4 .

المذهب المالكي فعلى أساس الانتماء المذهبي ضبط علماء قسطنطينة إنتاجهم العلمي وعطاءهم المعرفي عن طريق الإفتاء والتدريس أكثر من التصنيف، و التأليف وذلك بالاعتماد على كتب الفقه المالكي الواردة من بلاد المشرق ، ولا يغيب عنا ما للمذهبية من رمزية ودلالة في التكوين العلمي وحافز في الإنتاج المعرفي ولتلمس ذلك سنقف عند نماذج من علماء قسطنطينة وفقهائها تكونوا في رحاب المذهب المالكي وورثوا علما و كونوا أجيالا و ألفوا كتباً تحتاج إلى المزيد من العناية سواء من ناحية التشريح ،أو النشر أو التنقيح أو التحقيق لا سيما منه الجانب الفقهي المالكي الذي يرمز إلى معالم الشخصية الدينية ، كما نجد أن بعض العناوين اتجهت نحو تصحيح العقيدة وتزكية للنفوس ، بعيدة عن الردود المذهبية و الانتصارات الضيقة، ومن أهم أئمة المذهب المالكي في عهد قسطنطينة العثمانية الفقهية عبد القادر الراشدي القسطنطيني¹.

إضافة إلى الفقيه المالكي القسطنطيني مصطفى العجمي الذي كان له باع طويل في خدمة الفقه المالكي وحله لمعضلاته، تولى الإمامة بجامع سوق العزل بقسطنطينة حتى توفي سنة (1240 هـ)²، والفقيه طاهر بن زيان الزواوي القسطنطيني (940هـ/1523 م)، الذي كان عالما في الفقه المالكي وصوفيا ورعا، سافر لبلاد المشرق لأداء مناسك الحج كما استقر به الحال في المدينة المنورة إلى أن توفي وهو مقيم بها، له عدة مؤلفات : رسالة "القصدي إلى الله" و "نزهة المرید في معاني كلمة التوحيد"³.

وتشير المصادر إلى عدد من العلماء وفقهاء قسطنطينة المالكيين الذين تولوا مناصب التدريس والإفتاء والقضاء على حساب التأليف والتصنيف الفقهي المذهبي ، نذكر منهم: العلامة راشد عمار الغربي القسطنطيني الذي كان أديبا وشاعرا ومفتيا للمالكية وخطيبا

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص65.

² عمار جرابية، مختصرات الفقه المالكي وجهود الجزائريين في خدمتها، ملتقى عين الدفلى الخامس للمذهب المالكي، أفريل 2009، ص 392 .

³ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العتيقة تونس ، 1985 ، ط2 ، ص191.

بمسجد علي بن مخلوف ودرس بمدرسة الكتاني ثم جامع القصبية ، توفي سنة (1251هـ) ، كما نجد أحمد بن محمد المبارك ، أبو العباس القسنطيني فقيه وخطيب مالكي به نظم في فقه مالك ، نشأ بقسنطينة وولي الإفتاء على مذهب المالكية وعين خطيبا بالجامع الكبير، ترأس الطريقة الشاذلية ، من أبرز مؤلفاته "حاشية" على الشرح الأخضرى لجوهرة المكنون، وكتاب "شمائل الرسول ومعجزاته"¹.

ومنهم أيضا احد كبار فقهاء المذهب المالكي الحافظ للحديث والمدرک لدقائقه وعلمه ورجاله، والمشارك في علمي المعقول والمنقول العلامة محمد الحفصي القسنطيني الذي ولد في مدينة قسنطينة وتوفي بها عام (1226 هـ/1811م) وترك آثارا تمثلت في "حاشية " على "المسلم المرنوق" للأخضري، في المنطق و"تقايد"².

كما سيطر مختصر الشيخ خليل على مختلف الدراسات الفقهية المالكية في الجزائر عموما، و قسنطينة خصوصا، فقد كان بعض الفقهاء متحررين في تناولهم للمسائل الفقهية وقضايا العصر، والحياة الاجتماعية على أساس المذهب المالكي كعبد الكريم الفكون³ .

وقد عرفت قسنطينة مشاركة في الفقه وفروعه ، حيث وضع يحيى الفكون حاشية على المدونة ضمنها، كما قال حفيده عبد الكريم الفكون نوازل ووقائع قل أن توجد في المطولات، وقد أكملها لأن حفيده يقول أنها مسودة بخطه، أي خط المؤلف نفسه وهناك تعليق كتبه عمر الوزان حول قول خليل" وخصصت نية الحالف"، كما كتب يحيى بن سليمان الذي تولى الإفتاء و التدريس بقسنطينة بعض التقايد، وقام عبد الرحمان الخضري بوضع مختصر في فقه العبادات وهو المختصر الذي شرحه عبد اللطيف المسبح، و الذي لاقى انتقاد الفكون، هذا الأخير الذي قام بشرحه هو الآخر، وقد سمي شرحه "الدرر على المختصر"، كما اهتم الشيخ موسى الفكيرين بالتوضيح لابن الحاجب خصوصا ، فكان له إدراك لأبحاثه حتى قيل

¹ أبو القاسم الحفناوي ، المرجع السابق، ص72 .

² أبو القاسم الحفناوي ، المرجع نفسه ، ص365 .

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص ص 65 - 66.

إنه كان "آخر مدرس في ابن الحاجب في قسنطينة، لم يدرس فيه احد البتة ،بل كثر الاعتناء الخليلي".

يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن على الأرجح أن عبد اللطيف المسبح هو من قام بشرح القسم الأول من "الدرة البيضاء" في علم الفرائض والحساب للأخضري، وقد اتضحت شكوك سعد الله بعد أن أكد الفكون ذلك موضحاً أن عبد اللطيف المسبح المرادسي قد شرحها، واعتنى ببعض أعمال الأخضري كشرحه على مختصر الأخضري في العبادات وآداب الدين سماه "عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان"، كما عمل الفكون على شرحه أيضاً.

4-المذهب الحنفي بالجزائر:

تعود تسمية هذا المذهب إلى الإمام الجليل أبي حنيفة النعمان المولود في السنة الثمانين للهجرة (80 هـ)، درس بالبصرة ومارس التجارة بالكوفة، اهتم بالأحكام القانونية التي تتحكم في معاملات الناس وعباداتهم، أي علاقتهم بالله والمجتمع، كما اهتم بعلم الجدل في أمور العقيدة واثبات الحقائق الدينية بدلائل عقلية¹.

جمع الإمام بين العلم والمال، واهتم بدعم من ثاروا ضد أبي جعفر المنصور²، وهو الرجل الذي يتراءى للناس من عمله وزهادته وعبادته كالصاحبة والتابعين، ومن ثرائه وجاهه كأصحاب التيجان " وكان الإمام أبو حنيفة ملما بالفتوى ولوفي ابسط الأمور كفتواه في مسألة ظهور الماء المستعمل من عدمه، وكان الناس يأخذون بفتواه محمل الجد³.

أبتلي الإمام بفتن كثيرة، من مناوئيه من المعتصبيين والخوارج وصلت حتى إلى محاولة اغتياله في حلقات الدروس التي كان يقدمها، كما لم يسلم من بطش حكام زمانه الذين خالفهم الرأي وقد كان يحترم خصومه من ذوي الحجة والبينة ويسلم لهم ويوصي أتباعه وتلاميذه

¹ عبد الحليم الجندي، أئمة الفقه الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1972، ص 23.

² محمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره، أراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، 1945، ص 143.

³ عبد الحليم الجندي، المرجع السابق، ص 19 - 26.

على ذلك بالمقولة الشهيرة: "رأينا هذا أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا"¹.

لم يكن الإمام يحبذ ولاية القضاء وكان يرفضها ويلج على تلامذته اجتنابها لما فيها من ظلم في إقامة العدل والمساواة بين العباد وقد تتلمذ الإمام أبو حنيفة على يد ثلثة من العلماء والفقهاء كالشيخ حماد بن أبي سليمان، هذا الأخير الذي اخذ الفقه عن الشيخ إبراهيم النخعي والشعبي ومن خلالهما اخذ فقه علقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع والقاضي شريح والذين هم بدورهم تلقوا فقه علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود².

عاش الإمام زاهدا في الدنيا رافضا للمناصب والوظائف، أدخل السجن في عهد أبي جعفر المنصور (136هـ - 158هـ/754-775م) بعد أن أيد ثورة العلويين على بني العباس، ومكث في سجنه حتى وافته المنية³.

ومع بلوغ الإمام مرتبة مرموقة بين الفقهاء ورجال العلم، أصبح محل الهام للمناوئين والمؤيدين من الرواة والعلماء، فهذا الأوزاعي في حديثه لابن المبارك قال: "غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، استغفر الله لقد كنت في غلط ظاهر... " وقال فيه يحيى بن معين: "الفقه عندي فقه أبي حنيفة"⁴.

5- بعض مميزات المذهب الحنفي:

إن المتبع لمسار التواجد العثماني بالجزائر يلاحظ بعض الملامح الحياتية التي تميز بها الأتراك في عدة نواحي، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية، وقد كان للمذهب الحنفي الأثر الكبير في حياة الأتراك في الجزائر، فقد تميز حكمهم في كثير من القضايا الفقهية بخصوصية فريدة قلما نجدها في المذاهب الإسلامية الأخرى، وقد تجلت لنا

¹ عبد الحليم الجندي ، المرجع نفسه ص ص 35 - 34.

² محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ج 2 ، ص 137

³ محمد الطالبي ، الدولة الأغلبية ، (184 هـ - 296 هـ / 800 م - 909 م) ، التاريخ السياسي ط1: ترجمة المنجحي

الصياد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ص 73

⁴ حبيب أحمد الكيرواني ، أبو حنيفة و أصحابه، مكتب البحوث و الدراسات العربية و الاسلامية، بيروت، لبنان، ص 52 .

بعض هذه الخصوصية أو الميزة في مسائل فقهية أثارت الجدل لدى الباحثين والعلماء كمسألة الاهتمام بعمارة المساجد ومسألة فقه المرأة المسلمة.

أ- مساجد الأحناف:

إن مكانة المسجد عند المسلمين عامة تأخذ صبغة التعظيم و التوقير، لكنها تتغير وتختلف من مذهب لآخر خاصة من الناحية العمرانية والجمالية فنجد مثلا أن مكانة المسجد عند أصحاب المذهب الحنفي من العثمانيين وأتباعهم أكثر منها عند المالكية حيث لعب الوقف دورا كبيرا في ذلك، ويصف لنا الورتلاني في رحلته: " أن مساجد الأهالي كانت متواضعة من حيث شكلها ومادة بنائها بينما وصف مساجد الأحناف بأنها مرموقة تبنى بالرخام و تزين بالزليج و تفرش ساحاتها بالزرايبي و تضاء بقناديل زيت للإضاءة ، وذكر الورتلاني أيضا أن أهل المغرب أقل اعتناء بالمساجد حين قال: " وأهل مغربنا لا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث ولا مهدما قد جدد أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فيه رخام لأعيد بناءه بأجر وجص وإن كان مجصصا أن يعاد بطين¹.

ويلاحظ أن كثيرا من الحكام سواء تعلق الأمر بالباشوات أو البايات كانوا ملهمين بالبناء الراقي كما في مدينة قسنطينة، ويعد مسجد سيدي الكتاني فيها من أرقى التحف العمرانية التي أمر صالح باي بتشبيدها².

ب- المرأة والزواج :

إن الميزة أو الخاصية التي أولاها أصحاب المذهب الحنفي للمرأة وقضاياها جعلته مميذا عن بقية المذاهب الإسلامية الأخرى، والذي اعتبر مذهبا للرخص، حيث أباح أصحاب هذا المذهب قبول شهادة المرأة وعملها في القضاء، كما أجاز لها مصافحة الأجانب عند

¹ الحسين الورتلاني ، نفحة الانظار في علم التاريخ و الاخبار، ج : تحقيق محمد بن ابي شنب، مطبعة فونتا، الجزائر، 1908 ص 266.

² Eugène voysse.Histoire Deconstanti Ne soula Domination Turque De 1517-1837 .Bouchene .Baris .2002.P54.

الضرورة قد رخص لها تزويج نفسها ممن تحب و ترضى بعقد شرعي صحيح ولا يشترط فيه موافقة وحضور الولي¹.

إضافة إلى رضا الزوجة دون إكراهها في مسألة قبول الزواج من عدمه²، هذا ما لم يكن عند أصحاب وأتباع المذهب المالكي اللذين يرون في جواز شرط عقد الزواج إلزامية حضور الولي وتوفر الشهود إضافة إلى الصداق وصيغة العقد الشرعي بين أهلي الزوجين³.

6- انتشار المذهب الحنفي في بلاد المغرب:

إن تشبث المغاربة بالمذهب المالكي، جعل المذهب الحنفي أقل انتشارا في أوساط المجتمع، إلا إن التمذهب السلطاني مكن لهذا المذهب من دخول بلاد المغرب وانتشاره وهذا عبر مرحلتين أساسيتين هما:

أ- دخل المذهب الحنفي إلى بلاد المغرب مع قيام الدولة العباسية ويعتبر عبد الله ابن المغيرة أول من أدخل المذهب للمنطقة المغاربية في القرن الثاني الهجري (2هـ)⁴، وقد قاوم الأحناف أصحاب الملل الضالة والمبتدعة إلى جانب المذاهب الإسلامية الأخرى خاصة السنية منها

ب- حيث ساهم الأحناف في محاربة التشدد والغلو ولم يعمر هذا المذهب طويلا في هذه المرحلة وذلك راجع لعدة أسباب أهمها:

- مقاومة الاعتزال الذي اهتم به الأحناف من قبل علماء الفقه المالكي، عجل بزوال هذا المذهب وتملص المجتمع منه لفائدة المذهب المالكي، إضافة إلى تسرع فقهاء

¹ عبد الحليم الجندي، المرجع السابق، ص 29.

² عبد الحليم الجندي، المرجع السابق، ص ص 27 - 29.

³ عبد الرحمان الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج 4، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1970، ص 30.

⁴ إسماعيل سامعي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي من (ق 8 م / 11 م)، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1995، ص 52.

المذهب في إصدار الفتاوى عكس أصحاب المذهب المالكي الذين يعتمدون الرواية في ذلك¹.

- انتماء فقهاء المذهب للموالي الذين بدأوا بنشره أول مرة في بلاد المغرب، كأسد بن الفرات، والصراع الحنفي المالكي في مسألة خلق القرآن ووقوف رواد المذهب الحنفي مع المعتزلة في هذا الشأن².

ج- مع قدوم العثمانيين إلى الجزائر في القرن السادس عشر ميلادي (16م) بدأ المذهب الحنفي يظهر وينتشر من جديد، وقد بدأ في الانتشار بشكل تدريجي مع مجيء الباشوات، وفرق الإنكشارية، وقد ولي أئمة وخطباء ورجال فتوى أترك³، لكي يساعدون الحكام في تسيير الشؤون الفقهية والدينية والقيام على مسألة الإفتاء⁴.

ولكون المذهب الحنفي رافق السلطات السياسية والنخب العسكرية القادمة إلى إيالة الجزائر، فانه حتما سيصل صداه إلى الحاميات والحواضر المنتشرة في ربوع الإيالة والتي تعيش فيها الأقليات العثمانية كالكراغلة والجنود الإنكشارية وموظفي السلطة ومن بين هذه الحواضر، حاضرة قسنطينة في الشرق الجزائري⁵.

والتي تمذهب بعض فقهاءها بمذهب أبو حنيفة النعمان، وبرعوا فيه تصنيفا وإفتاء وتدريسا، كمصطفى بن الشيخ عبد الرحمان بن احمد بن مامش باش تارزي المتوفى سنة (1252هـ/1836م)، والذي ترك عدة آثار علمية تدل على مقدرته وعلمه في مختلف العلوم العقلية والنقلية، منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ككتاب: "صل يا ذا الجلال وسلم

¹ نجم الدين هتتاني، المرجع نفسه، ص75.

² إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص231.

³ عبد القادر نورالدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص08.

⁴ حسين بن رجب شاوس ابن المفتي، تقديرات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع: فارس كعون، دار بيت الحكمة، ص28.

⁵ صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر: مجلة البحوث العلمية والدراسات، عدد 1، جامعة الجزائر، 2004، ص152.

على المصطفى وآله وكل من تلا "، و" رسالة الجوهر المنظوم" في شرح قوله (صلى الله عليه وسلم): "من لم يستطع الباءة فليصم" ورسالة "تحفة الناظرين في إبطال القول بنقص الحكم بصحة وقف بعد موت الواقفين" وكتاب "المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية"¹، كما تعلق الإمام مصطفى بن الشاوش القسنطيني بالمذهب الحنفي، فخطب بالجامع الأخضر، وأفتى على مذهب أبي حنيفة النعمان، توفي سنة (1252هـ)²، ويذكر لنا عبد الله حمادي الذي قام بتحقيق كتاب "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" أن شيخ قسنطينة الفقيه المجتهد عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني كان منتسبا للحنفية³، عكس الدكتور سعد الله الذي يراه مالكيًا⁴.

ترك الراشدي تراثا قيما لا يزال أسير خزائن المخطوطات كـ: "متسعة الميدان في إثبات وجه الوزن وآلة الميزان في العقيدة وفي النظم" و"مفاد التحصيل لإعداد السبيل" وكتاب: "تجديد الإيمان في أواخر الزمان" ورسالة في التوحيد وله كتاب في الفقه والأصول يحمل عنوان: "حافل في مباحث الاجتهاد"⁵، وقد تقلد منصبى الإفتاء والقضاء على المذهبيين مرارا، ووصفه مبارك الميلي بأنه شيخ قسنطينة في القرن الثاني عشر هجري (12هـ)⁶.

7- العلماء والمذهب الحنفي:

إن المتبع لمسار انتشار المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني، يرى دور ومساهمة بعض العلماء الذين وفدوا إلى الجزائر، أو الذين ولدوا فيها في نشر هذا المذهب، إلا أن بعض مصادر السير والتراجم سكنت عن ذكر أسماء هؤلاء العلماء ربما لأن سكان الجزائر كانوا من أتباع المذهب المالكي، في حين أن المذهب الحنفي كان محصورا لدى

¹ عمر كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، ج5، بيروت، لبنان، ص118.

² عمر كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، ج1، بيروت، لبنان، ص265.

³ عبد القادر الراشدي، تحفة الإخوان في تحريم الدخان: تحقيق ودراسة عبد الله حمادي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص138.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، طبعة دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص65.

⁵ عبد القادر الراشدي، المرجع نفسه، ص428.

⁶ مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص711.

الأقليات التركية الحاكمة أو فئة الكراغلة أو بعض الحضر ومع مطلع القرن السادس عشر الميلادي (ق 16 م)¹ .

حيث أصبح هذا المذهب يتمتع بالأسبقية والأولوية على المذهب المالكي ، دون تهميش هذا الأخير أو إبراز الخلاف والتنافر بين المذهبين، فكانت العلاقة بينهما علاقة تنسيق وتعاون في القضايا الفقهية التي تخص المجتمع وظهر ذلك جليا في بروز محكمة حنفية وأخرى مالكية تعالج قضايا المجتمع كالميراث والطلاق والزواج والمعاملات بين الناس كالقرض والبيع والشراء، فكان لكل محكمة قضاتها ومفتيها وتتمتع كل محكمة بالاستقلالية عن الأخرى في اتخاذ القرار، وبالرجوع إلى سجلات المحاكم الشرعية المتعلقة بالأوقاف نجد أن جلها سجلت بمحاكم الأحناف ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن معظم الواقفين من أتباع المذهب الحنفي، وتشير المصادر إلى أن معظم علماء الأحناف الوافدين على الجزائر خاصة المشاركة منهم كانوا يتولون المناصب والوظائف كالتدريس والقضاء والإفتاء لأسباب منها: تحسين وضعهم المعيشي والسعي وراء كسب المال، حيث كانوا يدفعون الرشوة مقابل الحصول على وظيفة رسمية في الجزائر وبمجرد الحصول على مبتغاهم يسعون جاهدين في جمع الثروات الطائلة بشتى الطرق لتعويض ما دفعوه مقابل الحصول على المناصب والوظائف².

وفي مدينة قسطنطينة هناك أصناف من هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بأخذ الرشوة كالقاضي الحنفي عبد الله بن المسبح الذي يقول عنه الفكون: "...وإنه كان عامي القلم والفكر، لا يعرف ما يصلح به وضوءه وصلاته، فضلا عما وراء ذلك، غير أنه اتخذ الوثنية صناعة على ما فيها من الفساد والإفساد علما ورسما وضعف الدين، امتحن مرات وغرم كرات وهو أول من اظهر الغرامة على خطة النيابة، أعطى عليها مالا لقضاة العجم حتى ولوه إياها وربما ارشي الولاية يمينا و شمالا وسمعت من شيخنا أبي عبد الله التواتي أنه طلب

¹ ليلي الصباغ ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول : محمد الأمين المحجي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ط 1 ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، 1986 ، ص 240.

² ليلي الصباغ ، المرجع نفسه ، ص 240.

منه الرجوع إلى قسنطينة بعد أن خرج منها فاعتذر بأنه لا يرجع إلى بلد ابن المسبح فيه نائب أو قاض أو نحو ذلك وكان موسوما بالرشى مغموسا بشهادة الزور و الله اعلم بالسرائر، وكذلك مع أبي عمران موسى الملقب بالفكيرين الذي لا يتوانى في تلقي الرشوة نقودا أو طعاما من قبل قبائل البدو¹.

غير أن هذا لا يجعلنا نجزم بأن كل العلماء الأحناف الذين قدموا إلى الجزائر أو ولدوا فيها كانوا من هذا الصنف، بل كان العديد منهم له أهداف سامية و غايات علمية فعملوا جاهدين من أجل نشر الحنفية و التعريف بها².

ثانيا: المرجعية العقدية

بما أن علم الكلام يعرف باسم علم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم الفقه الأكبر وعلم الإيمان وعلم الأسماء والصفات وعلم أصول السنة والذي يعد أحد ابرز العلوم الإسلامية، الذي يهتم بمبحث العقائد الإسلامية وإثبات صحتها والدفاع عنها بالأدلة العقلية والنقلية، وارتبط هذا العلم بعقيدة الأشعري التي تنسب إلى أبي حسن الأشعري، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري وهي مدرسة إسلامية سنية اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي ومن كبار هؤلاء الأئمة الباقلاني والبيهقي والسيوطي وغيرهم، والشاعرة هم جماعة لا يخالفون إجماع الأئمة الأربعة، ولا يعارضون أية واحدة من القرآن ولا الحديث، وما ثبت عن الصحابة.

أما انتشاره في بلاد المغرب فجاء على يد محمد بن تومرت، وحمل لواء الأشعرية في الجزائر محمد بن يوسف السنوسي³، حيث لقيت القبول والشمولية وسادت مؤلفاتها ومصنفاتها وأفكارها، وانتشرت بين العامة والخاصة انتشار النار في الهشيم، واستطاعت

¹ الفكون ، المصدر نفسه ، ص90.

² Shawld . Voyagevdansl aregence d'alger ctraduit de l'anglaisparg . Mac calhy . 2éme edition . erition Bousl ama. tunis. 1980.p.153.

³ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع الكتروني :

التحكم في المرجعية الدينية للجزائريين، وساهمت بشكل أو بآخر في توجيه وتحديد مواقف العلماء، وتعتبر عقائد الأشعري عقائد أهل السنة، وكانت مؤلفات السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام وقد أصبغت هذه المؤلفات بالصبغة الصوفية علما أن السنوسي قد جمع بين علمي الظاهر والباطن، إلا أن شارحيه ودارسي مؤلفاته قد ما لوا إلى علوم الباطن، وقد أصبح من يخالف هذا التيار يتهم بالتجسيم والاعتزال والإيمان بظواهر النصوص، ومن ثمة يحكم عليه بالكفر والزندقة¹.

وعبد الراشدي القسنطيني واحد من هؤلاء العلماء الذين حكم عليهم بهذا الحكم فهو سلفي العقيدة، جمع بين عدة فنون ومراتب فبلغ درجة الاجتهاد والتحديث والتحقيق، وصفه الورتلاني بانه: "عالم وقته، وعضد زمانه، المجتهد والمحقق الأصولي الكلامي"².

وقد تعرض لمشاكل ومحن كثيرة سببها له علماء عصره الذين اتهموه بالتجسيم في تفسيره لقول الله تعالى: "لما خلقت بيدي"، فوصف اليد على أنها حقيقية ومع ذلك ليست جسما ولا جارحة ويبدو أن الظروف التي أحاطت بالراشدي والحظوة التي لقيها من صالح باي وعلماء قسنطينة كانت سبب محنه³.

ومن أجل القضاء عليه وعلى مكانته التي نالها بفقعه وعلمه، كثر خصومه وأعداءه، حيث استطاعوا الإطاحة به وكادوا أن ينالوا منه واتهم بالحشوية التشيع والاعتزال والظاهرية، وقد بالغ خصومه بالتحرش به فبدأوا بتأليب العامة والطلبة عليه، وقد وصف أحد المعاصرين حوادث وقعت له مع الطلبة، حيث قال: "وقعت بينه وبين الطلبة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة حتى رموه بالتجسيم، بل بعضهم كفره ومن الإسلام أخرجه وذلك أمر عظيم في الدين"⁴.

¹ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 92.

² الورتلاني، المصدر السابق، ص 69.

³ الحفناوي، المرجع السابق، ص 220.

⁴ اوجرتني، المرجع السابق، ص ص 38-39.

ودرس علم الكلام الله وصفاته، ودرس آخرون إيمان العالم وإيمان المقلد واختلفوا حول ذلك، كما تباينت أفكارهم حول تعلق الله بالحيز أو لا فمحمد البوزيدي أحد علماء قسنطينة الذي قال عنه الفكون أنه صاحب دعوة كبيرة في علم الكلام كان يدرس عقائد السنوسي ومختصر ابن الحاجب، فالبوزيدي يعتبر أن المقلد غير مؤمن وان العامة مختلف في إيمانها وقال كذلك: "إن قدرة الله لا تتعلق بحيز الجوهر"، ويبدو إن البوزيدي لم يكن وحده في هذا التفسير فقد أكد الفكون إن: "هذا مذهب سرى في جل المغرب سريان النار في الهشيم"¹. وتعد عقائد السنوسي وخاصة الصغرى "أم البراهين" من أهم المؤلفات التي وجدت عددا كبيرا من الشراح كعالم قسنطينة الشيخ عمر الوزان وكذلك تلميذه عبد الرحمان الأخضري الذي نجد شرحه لها ضمن مؤلفاته، وقد عرف هذا الأخير بنظم العلوم المختلفة ومنها مسائل التوحيد².

وقد وضع الشيخ عبد الرحمان باش تارزي نظما في كلمتي التوحيد ثم شرحه بنفسه وسمى الشرح "غنية المرید في شرح نظم مسائل كلمتي التوحيد"³. إن هذه المؤلفات المذكورة سابقا تأكد تغلغل العقيدة الأشعرية في المجتمع الجزائري عموما والقسنطيني خصوصا، وقد أظهرت مدى اهتمام بعض العلماء القسنطينيين بهذه العقيدة، كإحياء الاجتهاد ومحاربة التقليد في الكتابات، حيث أصبحت تدعم وبقوة علم الكلام الأشعري.

ثالثا: المرجعية الصوفية

نشأ التصوف في ظل التطورات الشاملة التي مر بها تاريخ المسلمين ، حيث بدأ في الانتشار في مختلف الأقطار الإسلامية ، و لقد اختار العلماء المدرسة الجندية الملائمة لطبيعة الفكر المهتم بالجانب العملي للتصوف وما تنمته التجربة الروحية من أفعال أخلاقية تعود على السلوك بالاستقامة دون إطلاق القول في الحقائق والكشوفات فالتصوف في نظر

¹ ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 93.

² ابو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 95 - 96.

³ ابو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ص 102.

الجديد هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول في الشريعة، لذا فكان التأثير حاضر بقوة لدى العلماء الذين عالجوا التصوف¹، وتعد الجزائر إحدى هذه البلدان التي هيمنت فيها الالتزامات الصوفية خلال الفترة الممتدة من القرنين السادس عشر والثامن عشر، وهي فترة غنية بالأحداث والتطورات التاريخية².

وقد عرف أهل التصوف في أول الأمر بالزهد والانعزال، إلا أن ظهر الدراويش وأفكارهم التي انتشرت بسرعة، حيث أصبح لهم كيانات سياسية ومؤسسات اجتماعية ومراكز ثقافية³.

وتبرز مكانة التصوف في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر خلال العهد العثماني في مساهمة هذه الظاهرة في انتشار مبادئ الطريقة وتجمع الناس حول المتصوفة والسلطة السياسية العثمانية، ويعود الفضل في ذلك إلى تنقل العلماء ورجال التصوف في مختلف أرجاء البلاد وخارجها ونشرهم للأفكار والأسس التي قام عليها التصوف⁴.

1- العلماء والمرجعية الصوفية:

عملت السلطات العثمانية على تشجيع المتصوفة فسعوا إلى كسب ودهم ونشر طرقهم سعيا منهم لتثبيت حكمهم وتوطيد سلطتهم بالجزائر، وقد كان للمتصوفة الجزائريين في العهد العثماني آراء ونظرات في مختلف نواحي الحياة كالحياة العلمية والسياسية والخلقية والعملية، وهو ما يجعل تأثيرهم يشمل السلطة العثمانية وعامة أفراد المجتمع فمن، ناحية الحياة العملية

¹ إلهام قاتل، النخبة العالمية في المغرب الاوسط، (ق 7-9 هـ/ 13-15 م) منطلقات الفكر و أنماط السلوك، أطروحة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (2017/2018)، ص 65.

² عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830)، دار هومة، ص 9.

³ المحافظة علي، الإتجاهات عند العرب في عصر النهضة (1798-1954) الإتجاهات الدينية و السياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1978، ص 17.

⁴ عبد القادر صحراوي، المرجع، السابق، 9.

وبمراجعة إحصائية لمصنفات كبار علماء قسنطينة فإننا نجد الكم والكيف في وفرة التصنيف والتأليف عموماً قد طغى عليها كتب التصوف¹.

ومن جهة أخرى فإن التصوف قد أنتشر في المدن قبل الأرياف، ويرجع السبب في ذلك إلى ظهور معظم المتصوفين في المدن الكبيرة كمدينة قسنطينة وقد غرق العلماء في التصوف والدروشة، فأصبحوا يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرق والسبحة والمصافحة وأضحى عند البعض وسيلة للفساد والرشوة وعند البعض الأخر وسيلة لنشر البدع واتخاذ الحضرة واستغلال عامة الناس، ولم يعد التصوف الذي كان عليه الأوائل الذين كانوا يجمعون بين العلوم العملية ومعرفة الله عن طريق العمل والنظر والتدبر في خلقه والذين لم يدعوا لأنفسهم كرامة ولا خارقة².

وقد رأى الفكون بأن الصلاح المؤدي إلى معرفة الله، والقرب منه ليس هو التوسط بالشيخ واتخاذ الحضرة وال جذب والكرامة، كما أعاب عن المدارس أصبحت ترى في كل شيخ مجذوب بركة وصلاح وفي كل درويش مغفل واليا وصاحب كرامات³.

كما أن البدع والمعتقدات الفاسدة التي ألصقت بالتصوف والتي انتشرت انتشاراً واسعاً بفعل ازدياد عدد الزوايا الصوفية وتكاثر أهل الدعاوى الباطلة واستحواذهم على عقول الناس لاقى سخط بعض علماء الصوفية الذين لم يرضوا على صنيعتهم في مخالفة سلوك الشرع موضحين الحقيقة التي كان عليها السلف كالشيخ عبد الكريم الفكون⁴.

وقد ظهر في مدينة قسنطينة علماء اشتهروا بالتصوف كعبد الرحمان بن أحمد بن مامش باش تارزي، الذي يعد ناظماً وأديباً، نشأ بمدينة الجزائر ثم أنتقل إلى قسنطينة

¹ الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية /قسم العلوم الاجتماعية، العدد 18، جوان، 2017، ص 26 .

² ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 463-478.

³ ابو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 475-476.

⁴ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 79.

فاستوطنها، ونشر فيها الطريقة الرحمانية، له "عمدة المرید" في بيان الطريقة و"منظومة الرحمانية"¹.

ومنهم أيضا مصطفى بن عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي العالم الصوفي القسنطيني أخذ العلم عن والده وعن مجموعة من العلماء، من آثاره "المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية"، وقد قام بشرح منظومة والده، ونجد الشيخ أبو حفص الوزان الذي قال عنه الفكون أن: "الرحال تشد إليه في طلب العلم، وممن يفتي بأقواله وأفعاله" ويتحدث عن الشيخ في بادئ أمره أنه كان معنيا بطريقة الصوفية والعكوف على قراءة كتب الوعظ قبل انشغاله بالحديث ويذكر نفس المصدر أن للشيخ كرامات كثيرة محفوفة بالبركات على كل أحبائه، ونجد أيضا أحمد بن المبارك أبو العباس القسنطيني الفقيه المالكي والباحث والخطيب، له نضم ولي الإفتاء على مذهب مالك، إلي جانب الخطاب بالجامع الكبير ترأس الطريقة الشاذلية له مؤلف "شمائل الرسول ومعجزاته"، وظاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، الباحث والفقيه المالكي الصوفي من آثاره ثلاثة كراريس في التصوف "القصد إلي الله" كما يذكر أن له كراريس في التصوف أيضا².

ويوجد أيضا أبي عبد الله سيدي محمد الفكون، الذي تولى الإمام بالجامع الأعظم، حيث كان فقيها صوفيا يرجع إليه في المسائل والإفتاء وكان ذا تعفف وأوراد وقيام ليل³.

¹ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتي العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية لتأليف والنشر، بيروت، لبنان، ص31.

² عال نويهض، المرجع نفسه، ص ص 260-262.

³ الفكون، المصدر السابق ص52.

المبحث الثاني: تأثير المرجعيات الدينية على العلاقات بين العلماء

أولاً: تنافس العلماء بين الأسباب والنتائج

إن اختلاف المرجعيات الدينية والتوجهات الفكرية لعلماء قسطنطينة خلال العهد العثماني أشعل فتيل التنافس بينهم الذي أخذ مسرا دنيويا كغطاء الخلاق الإيجابي والتنافس الهدام السلبي، هذا الأخير الذي كان هو الغالب والذي رسم طبيعة التنافس المتمثلة في عمل العلماء حيث كان محدودا نظرا لقلّة الوظائف العلمية والدينية ما جعلهم يدخلون في حرب للظفر بما كان متاحا وموجودا، وكان لهذه الحرب ضحاياها وأسلحتها ، الإ سلاح العلم والأخلاق والكفاءة، ولو كان تنافسهم على الأشياء العظيمة لهان الأمر وكان له مبرر فيما يرمون، فذكر لنا أحد الباحثين أن العلماء كانوا لا يباليون حتى في إسقاط منافس لهم من مكانته وهذا ما شاع بينهم فكان نتيجة ذلك إما السجن أو التعرّيب أو الإهانة أو النفي والعزل أو حتى الإعدام والقتل والمصادرة الأحوال ، ويذكر الفكون أن محمد بن نعمون كان يتنافس مع أحمد بن باديس على الرئاسة وأحوال الدنيا وبلغ به الأمر إلى أن سعي ابن نعمون وجماعته بابن باديس إلي بشوات الجزائر وكتبوا سجلات ووصفوه بما لا يليق الخوض فيه إلي أن أجبروه بتوجه إلى العاصمة حيث غرّمه الباشا وسجنه ولا كن هذه الحادثة التي يبدو أن النصر فيها كان لابن نعمون وجماعته قد انقلبت ضده وانتهى الصراع بعودة ابن بادي سالي الإفتاء واستقلاله به، وعزل ابن نعمون عنه، وقد أخذ التنافس الذي كان فرديا أو عائليا صبغة دينية بحتة كما كان الأمر بين آل الفكون وآل عبد المؤمن والذي انتهى الأمر فيه لتغليب العثمانيين آل الفكون ومنحهم مشيخة الإسلام، وبالتالي أصبح الفكون شيخا للمدينة وأميرا لركب الحج¹. كما كان لدنو الأخلاق عند بعض العلماء بصمة في شيوخ الرشوة والطمع والجهل بينهم، والتساهل في أمور الدين ومنح الإجازات بسهولة والتعدي على الأوقاف وغير ذلك مما هو ليس من أخلاق العلماء الحقيقيين في شيء².

¹ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص ص 402 - 403

² أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص404.

فقد روى الفكون: " أن أحمد بن حسن الغري كان يخدم الولاية ويعطيهم رشى من أجل تولية نيابة القضاء، إلى جانب أبي عبد الله محمد المسبح الذي امتحن مرات وغرم كرات، وهو أول من أظهر الغرامة على خطة النيابة، حيث أعطى عليها مالا لقضاة العجم حتى ولو إياها وربما أرشى الولاية"¹ .

ويذكر لنا الفكون أن وظيفة الفتوى كانت من أهم الوظائف التي اشتد عليها التنافس من قبل العلماء، كابي عبد الله ابن نعمون وأبو العباس أحمد المدعو حميدة بن أبي زكريا بن باديس اللذان وقعت بينهما مؤاخاة ومحالفة لم يتم مقتضاها العام إلا أن عمل الواشين حال دون بقاء الحال على الحال، فأضحوا شتى بعد أن كانوا على قلب واحد، كل هذا كان بسبب أحوال الدنيا والرئاسة والتي هي أعظم بلية فعزل أبو العباس وحده وقد تشبث أبو عبد الله وأولاده في أخذ الثأر من أبي العباس، ورجعت المودة بينهما شحناء والمحالفة بغضاء، أما فيما يخص وظيفة القضاء فيروي لنا الفكون في منشوره أن: "...أبا زكريا يحيى بن محجوبة حاز في زمنه رئاسة الفتوى ووكان له صيت في بلده، وكثرت سجونته، وأغرم مرارا، تولّى القضاء ونازع فيه القاضي الكمّاد وظهر عليه في آخر عمره"² .

ويذكر لنا أيضا أن التنافس بين العلماء شمل نيابة القضاء فقال: "...وممن رأينا ولقينا أبو محمد عبد اللطيف بن عبد الكريم بن القاضي بركات رحمه الله ممن يحبنا الله أولا وأخرا لا تبدل ولا تغير إلا أن مات كان مضادا لأبي العباس بعد أن كانت بينهما مصادقة الصغر وأخوته أعقبها ذلك بعد الكبر، التنافس في ولاية منصب النيابة والهجران الفظيع والترصد بكل المكارة لكلّ منهما لصاحبه مالا يليق بكل عاقل وكانت بينهما فتنة عظيمة"³ .

وقد كان الكثير من العلماء ينافسون أقرانهم للظفر بالوظيفة أو المنصب عن طريق الوساطات أو التوسلات أو غيرها، وقد جرى ذلك كلّ مع التساهل في العلم وفي قضايا الدين

¹ الفكون ، المصدر السابق ، ص 90 .

³ الفكون ، المصدر السابق ، ص ص 78-79 .

أيضا، فبعض الأئمة كانوا لا يحسنون قراءة خطبهم وآخرون لا يحسنون حتى إصلاح حسب رواية الفكون، ومع ذلك تولوا مناصب سامية كالخطابة والقضاء¹.

وقد بلغ التنافس درجة الحقد والحسد والغيرة كما حدث مع الشيخ الفقيه عبد القادر الراشدي القسنطيني حين تحدث عن المتشابه في العقائد وذهب إلى منعه فيها واتهم بالكفر والتجسيم وثار عليه بعض علماء عصره لجهلهم وحقدهم عليه².

وعرفت المؤامرات والمكائد التي يقوم بها العلماء الموالين للسلطات العثمانية والرافضين لها من بين أهم الأسباب التي أشعلت فتيل التنافس، وكان كل متنافس إذا بلغ مرتبة رفيعة على خصمه سعى في النيل منه، وغالبا ما كان التنافس يصنع الفرقة وينشر العداوة بين المتنافسين مثلما حدث مع حميد الغربي وعبد اللطيف بن عبد الكريم من أجل نيل منصب القضاء³، وفي بعض الأحيان كان التنافس بين العلماء يأخذ منحى آخر، حيث يتحول إلى خصومة وعداء، مرفوقة بألفاظ مشينة وفجور⁴.

ويمكن القول أن معظم المشاحنات والخصومات كانت بدافع الغيرة والحسد ولم تكن بدافع الانتماء العرقي⁵.

كما عُرفَ عن علاقات المتصوفة ببعضها البعض، أنها لم تكن دائما على وفاق، بل كان التنافس والتحاسد هو الذي يميزها وهي تسعى إلى تحقيق مكاسب مادية ومعنوية ونفس الأمر عرفته العلاقات بين أصحاب الطرق الصوفية⁶.

¹ الفكون ، المصدر نفسه ، ص 406.

² أحمد بن المبارك العطار ، تاريخ قسنطينة :تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 11.

³ Hourit touqti ، enter dieu et les hommes le ttres siant et sorceiers Magreb 17،ème siecl et édition de l'école des hautes études des en sciences soieles Paris;1994;P82.

⁴ صالح بوشيش ، المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني :مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد 1 ، جامعة الجزائر ، 2004 ، ص 163.

¹ Houart touti ;opeit ; P82 .

⁶ بعارسية صباح ، المرجع السابق ، ص 187.

وقد روى الفكون في منشوره العديد من الأمثلة فيما يخص التباغض والتنافس والتحاسد وتبادل الشتائم بين الموالين للمرابطين، كالذي وقع بين محمد الحاج الصحراوي وقاسم بن أم هاني، والذي أدى بأحدهما إلى تكفير الآخر¹.

ويفيد الفكون أيضا أن ترفع وتمسك المرابطين بمكانتهم الدينية بين العامة جعلهم لا يقبلون أي أمر لا يخدم مصالحهم مثل: موقف ابن العطار الذي راوده الخوف من الحكم الذي سيصدره قاضي الجماعة عمر الوزان في النزاع الذي كان بينه وبين ابن قلابة حول بعض جنان المدينة، لأن الوزان كانت كلمته لا ترد وحاف ابن العطار أن يخسر الحكم رغم الأدلة والبراهين التي كانت بحوزته².

وقد دخل التنافس المذهبي هو أيضا هذا المجال رغم كون المذهب الحنفي والمالكي سنيين وأنه لا يوجد اختلاف بين المذهبين بمعنى الكلمة، إلا أن تصرف بعض الحكام العثمانيين جعل التنافس بين العلماء يظهر وكأنه تنافس مذهبي، فقد كان العثمانيون يوالون المفتي الحنفي والقاضي الحنفي على المفتي المالكي والقاضي المالكي، حيث كان في حالة النزاع حول قضية من القضايا يُحتكم إلى المجلس الأعلى، وتعقد المناظرة ويُرجح الباشا غالبا رأي الأحناف ورغم هذا كله لم يعرف التنافس المذهبي خروجاً عن النص، ولم تكن له تبعات ونتائج خطيرة سواء أكان التنافس فردي أو عائلي³.

ويمكننا القول أن علاقات العلماء ببعضهم البعض لم تكن على وفاق دائم بل التنافس والتحاسد والتباغض هو الذي يميزها، وهي التي كانت في الغالب تسعى إلى تحقيق مكاسب مادية ومعنوية.

ثانيا: التآخي والاحترام

اتسمت العلاقات بين العلماء بمظهر التآخي والاحترام بين العلماء كأفراد أو بينهم كأسر، حيث ارتبطت بعض الأسر بصداقات قوية تجلت ملامحها في التواصل والتعاون

¹ الفكون ، المصدر السابق ، ص ص 140-142.

² الفكون ، المصدر نفسه ص ص 39 - 40 .

³ ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 404 .

والمصاهرات وتبادل الزيارات، ففي مدينة قسنطينة كانت هناك علاقات صداقة قوية كالعلاقة بين آل الفكون وآل باديس، حيث روى الفكون قائلاً: "... وأحبنا الله أخوه أبو العباس المدعو حميدة... وكان أديبا أربيا عاقلا صّين العرض مع منصبه، لا ترى الناس إلا مادحين فيه، يقضي حوائجهم ويظهر لهم البشاشة واللين والبرور به لكل من قصده، وحصل بيني وبينه مودة وإخاء"¹.

كما لم يخلوا الاحترام بين العلماء من الإشادة والمدح، كإشادة الفكون بالشيخ عمر الوزان واصفا إياه "بشيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان، العارف بالله الرباني، نفعنا الله به وبأمثاله، كان بحرا لا يجارى في العلوم فقها وأصولا ونحوا وحديثا وله في طريق القوم اليد الطولى"، وكان ممن تشد له الرحال في طلب العلم وممن يفتى بأقواله وأفعاله².

ومن جهة أخرى أشاد الفكون بالشيخ أبي عبد الله محمد العطار، حيث وصفه بالمتقن العارف بالعلوم العقلية والنقلية، وأنه كان بحرا في الفتوى وهذا بشهادة الشيخ الوزان الذي أعجبه وأثنى عليه³، كما كان توريث الوظائف السمة الغالبة عند علماء قسنطينة، حيث كانت تُورث للأبناء والأقارب كآل باديس والفكون.

وقد لعبت المصاهرات بين العلماء دورا مهما في تمتين العلاقة بينهم وتقويتها على أساس الاحترام وقد ذكر لنا الدكتور سعد الله أن عمر الوزان قد تزوج من عائلة أفوناس وكان محمد بن نعمون صهرا لعبد اللطيف المسبح وكلاهما من أسرتين علميتين كبيرتين قسنطينيتين، ويذكر الفكون أن زوج ابن المفتي أحمد بن باديس كانت أختا لوالدته، كما ذكر هو شخصيا أنه كان متزوجا من إحدى بنات أحمد بن حسن الغري⁴.

¹ الفكون ، المصدر السابق ، ص 210.

² الفكون ، المصدر نفسه ، ص ص 35 - 36 .

³ الفكون ، المصدر نفسه ، ص 38 .

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1 ، ص ص 399 - 400 .

الفصل الأول — المرجعيات الدينية وتأثيرها على العلاقات بين علماء قسنطينة خلال العهد العثماني

وعليه فإن العلاقات بين العلماء أخذت صبغتين، الأولى في مجال التنافس والذي بدوره انقسم إلى شقين، شق نافس على الرئاسة وأحوال الدنيا، وشق كان همه خدمة الدين وأحوال المسلمين، أما الصبغة الثانية فتمثلت في روح الإخوة التي كانت سائدة بين بعض العلماء، إلى جانب الاحترام الذي لمسناه في منح الإجازات وفي القيمة العلمية والمكانة الاجتماعية للعلماء.

الفصل الثاني

علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

المبحث الأول: علاقة العلماء بالسلطة والنتائج المترتبة

عنها

المبحث الثاني: علاقة العلماء بالمجتمع ودورهم الاجتماعي

المبحث الأول: علاقة العلماء بالسلطة والنتائج المترتبة عنها:
أولاً: التحالف والولاء:

يعتبر استمرار فكرة الجهاد ضد الكفار أهم ميزة من مميزات العهد العثماني في الجزائر، حيث آمن به العثمانيون منذ كانوا رعاة في هضاب آسيا الصغرى والوسطى ومنذ أن أصبحوا جنوداً على حدود الدولة العثمانية يغيرون على بيزنطة فيغنمون أو يستشهدون وهو من تقاليدهم العريقة، كما عرف الجهاد الذي مارسه العثمانيون والسكان معهم بالجهاد والبحري والجهاد البري، والذي اتخذ طريقاً للدفاع عن العقيدة ودحر الغزاة¹.

1-أسباب التحالف والولاء:

أ- الجهاد

إذا تتبعنا مسار المقاومة التي خاضها الجزائريون ضد الإسبان نجد أول من عارض الاحتلال الإسباني هم العلماء ، وبالخصوص المرابطين، فالتواجد المسيحي الإسباني على السواحل الجزائرية دعم فكرة التحالف بين العثمانيين والعلماء² ، لقد اخذ الجهاد جل اهتمام العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، هذا دون أن ننسى دور بعض العلماء الذين كانوا بعيدين عن مسارح القتال، فمثلاً عند قيام الحكام بالتوجه إلى العلماء قصد تجنيد العامة للوقوف مع الحكومة ضد الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية وجدنا عبد القادر الراشدي القسنطيني³.

وأحمد العنتري الذي خلف رسالة تتعلق بحملة اوريلي سنة (1775)، وكان الكاتب قد رافق صالح باي إلى الجزائر العاصمة رفقة جيشه للوقوف إلى جانب الداوي، وقد كتب روايته سنة (1977) ترجمها فيرو (FERAUD) إلى اللغة الفرنسية منشورة في العدد التاسع

¹ أبو القاسم سعد الله مرجع سابق، ج1، ص197.

² SAIDOUNI، NACER. EDDINE، L'ALGEROIS RURALA'LAFIN DE L'EPOQUE -1830)

(1791 OTTOMANE) -DER-EL-GHERB- EL- ISLAMI BEYROUTH، 2001، P403

³ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص417.

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

من المجلة الإفريقية سنة (1865)¹ ، لم دين وحكم فقط ، بل كان رجل كفاح وجهاد، فهو قد انظم إلى الجيش الذي خرج من قسنطينة في طريقه إلى مدينة الجزائر بقيادة صالح باي للذود عنها² .

كما أحدثت هزيمة الإسبان ردود فعل متعددة فجرت حماس الشعراء وجنى الداوي ثمار استعداده الطويل إلى المعركة إذ أنه لم يكد ينزل الإسبان حتى وجدوا في مواجهتهم جيشا كبيرا بقيادة صالح باي قسنطينة يعسكر في رأس ما تيفوا³، وقد قدر بحوالي خمسة وعشرون ألف جندي، إلى جانب إتصال باي وهران بصالح باي لدفع الهجوم الإسباني على المدينة خلال اجتماعهما على أبواب العاصمة⁴، ومن هذا المنطق نعتبر تحالف الحكام مع العلماء ساهم بشكل كبير في مناهضة التواجد المسيحي الذي بدورره سمح للعثمانيين بكسب مجد الجهاد المقدس.

ب-معتقدات العثمانيين الدينية:

عُرف عن العثمانيين تبجيلهم للعلماء والمرابطين ورجال الدين وربطتهم بهم علاقات قوية ومتينة ليست بالجديدة، فهي راسخة لديهم، فكانت الطرق تحميهم وتؤثر فيهم، وتقودهم وتحفزهم، إضافة إلى الإدانة بالولاء لرجالها والتبرك بهم، وتعتبر سياسة الأتراك في الحكم قد أعانت على ذلك، إذ أن من الطبيعي العلاقة التي تربط العثمانيين بالعلماء والأولياء وال دراويش هي الروح التي تحرك الجندي التركي للجهاد والاستماتة فيه⁵.

فقد كانوا يتقربون منهم ويستشيرونهم ويأخذون برأيهم حتى وان كان في الأمر خطورة عليهم، ويذكر لنا الدكتور أبو القاسم سعدا الله أن أحد كبار العثمانيين أراد الاستيلاء على الحكم بالجزائر فاستشار احد المرابطين الذي اقترح عليه ذبح أربع كباش وتوزيعها على

¹ عبد القادر فكايير، دور العلماء والرابطات في مواجهة العدوان الإسباني على الجزائر، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أفريل 2008، ص286.

² الصيد سليمان، مرجع سابق، ص ص 35-36.

³ محمد بن مبارك الملي، تاريخ لجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص 232-235.

⁴ محمد بن مبارك، المرجع نفسه ، ص 242.

⁵ أبو القاسم سعدا الله، المرجع السابق، ص185.

الفقراء، والتصدق بالمال واعداء إياه بالنصر، ويعتبر تقديس العثمانيين للمرابطين ورؤساء الطرق ميلا إلى الخرافة أكثر منه إلى المنطق، فمن الحكام من اعتنق التصوف وصدق هذه الاعتقادات صالح باي قسنطينة، الذي ورغم دعمه للحياة الثقافية فإنه كان يؤمن بالخرافات خاصة بعد قتله للمرابط محمد الغراب فخاف سوء طالع فبني له ضريحا¹.

2- مظاهر التحالف والولاء:

أ. الوظائف:

كان للعلماء خطوة عند الحاكم العثمانيين، حيث حصلوا على الكثير من الامتيازات والوظائف وقدمت لهم صلاحيات عدة كآل الفكون إبان حكم الباي فرحات، وقد اسند لأفرادها إدارة المدينة مع شيخ البلد عند خروج البايات لتحصيل وجمع الضرائب، أو أثناء الحملات التأديبية، إضافة إلى تولي عدد من أفراد إدارة حبوس مكة والمدينة بقسنطينة بعد أن انتزعت من عائلة عبد المؤمن، وقد تم تعيين محمد بن عبد الكريم الفكون كأمر لركب الحج اثر مرسوم (1680م) الذي أصدره الداوي إسماعيل باشا، كما منح آل الفكون الإشراف على الضرائب المحصلة من سوق الخضر والفواكه بقسنطينة².

وهناك وظائف أخرى تقلدها العلماء كسيدي قاسم الفكون الذي كان قاضيا بالمدينة وسيدي محمد الكماء الذي ولي قضاء الجماعة بقسنطينة في بداية الأمر، ثم في آخره تنوب على قضاة العجم حين كانت لهم الدولة حسب ما ورد على لسان الفكون في منشوره³ وبالنسبة لمنصب الإفتاء نجد أن احمد بن حسن الغريبي، كما نجد وظائف أقل تنافسا كوظيفة التدريس⁴.

ومن الوظائف الإدارية فقد احتلت أسرة ابن الأبيض منصب قائد الدار في عهد احمد باي القلي، وقد توارث أفرادها هذا المنصب منذ سنة (1755م) تاريخ تقليد الباي حسين زرق

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 469-220.

² رشيد شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2006، 108.

³ الفكون، المصدر السابق، ص 43 - 44.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 396 - 397.

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

عينو المنصب لزعيم الأسرة محمد بن عمر بن الأبيض قائد الزمول، لتبقى هذه الوظيفة وراثية حتى نهاية ق¹⁹.

- تحصيل الضرائب:

عملت السلطات العثمانية على تعيين محصلي الضرائب من أشهر العائلات العريقة كعائلة آل الفكون في قسنطينة، أين تمتعت بحق جمع الضرائب في أسواق الخضر والفواكه بمدينة قسنطينة، مما سهل على الحكام جباية الضرائب بمختلف المناطق وخاصة المعادية حيث تطوع الكثير من رجال الدين وخاصة المرابطين منهم لإقناع العامة بدفع الضرائب.²

- الوساطة:

كان للوساطة الأثر الإيجابي على الحكام، حيث سعوا إلى استمالة العلماء لاستخدام نفوذهم الروحي في الأوساط الشعبية خاصة عند جمع الضرائب والتمردات، ففي قسنطينة لما ثار صالح باي لجأت السلطة إلى العلماء، حيث نجد أن عائلة الفكون تنكرت له رغم مساندتها له سابقا، والدليل موقف الشيخ عبد الرحمان الفكون الذي لعب دور الوسيط مع السلطة للقبض على باي قسنطينة المذكور³، ونجد كذلك المرابط الشليحي الذي سبق ذكره حيث كان يعمل وسيطا للباي بوحناك لتهدئة الأوضاع لصالح السلطة⁴.

¹ مجلة معاشي، الانكشارية والمجتمع في بايلك الشرق، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008.

² رشيدة شدرى د معمر، المرجع السابق، ص 110.

³ رشيدة شدرى معمر، المرجع نفسه، ص 111، 112.

⁴ رشيدة شدرى معمر، المرجع نفسه، ص 113.

البعثات والمفاوضات:

لقد تعدى دور العلماء كونهم وسطاء بين السكان والسلطة الى توكيلهم مهمات سياسية، حيث كان أشهرهم يرسل كمبعوث سياسي عند الحروب والخلافات والصراعات والمشاكل وعقد الصلح بين الأطراف المتخاصمة، وقد لعب بعض المرابطين دورا هاما في استقرار العلاقات بين تونس وقسنطينة¹، وقد كلف الشيخ عبد الكريم الفكون بمهمات سياسية وبإيعاز من الحكام ، والدليل على ذلك لما خرج مرة لنواحي البلدة يقصد حاجة عرضت لمن كلفه عليه الخروج، هو وصاحبه أبو محمد عبد الطيف المسبح وقائد الجيش فمسكهم الأعراب²، كما أوكل للعلماء المجال التفاوضي عندما تعرض قسنطينة لحملة فرنسية بقيادة يوسف سنة (1836م)، كان أهل البلد قد اتفقوا على أن يكتبوا رسالة اعتذار إلى يوسف ومنهم الشيخ ابن الفكون وسي محمد العنتري وكان غرضهم التفاوض معه.³

ب. الاحترام:

أولى الحكام العثمانيين احتراما للعديد من العلماء خاصة رجال الدين والمرابطين لذلك كانوا يتقربون منهم بشتى الوسائل كبناء المساجد والزوايا والوقف عليها، وكانوا يتبركون بهم ويطلعونهم على خطتهم ما يدل على الاحترام والثقة المتبادلة بين الطرفين⁴، وأصبح الحكام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا⁵، و يذكر لنا سعد الله أن مدى الاحترام الذي كان يكنه باي قسنطينة حسين بوحناك للمرابط الشيخ الشليحي، حيث يقول أن الباي بوحناك كان لا يعتقد في الأولياء، وانه كان عنيدا متمردا فلقية المرابط الشيخ الشليحي فوقعت له كرامة مذكورة في مكانها فما كان على الباي ا لان تراجع عن موقفه من الأولياء والصالحين، وأعطى للمرابط الشليحي قصرا في المكان المعروف باسم الأربعين

¹ رشيدة شكري معمر، المرجع السابق، ص114.

² الفكون، المصدر السابق، ص49.

³ العنتري، المصدر السابق، فريدة مؤنسة ، ص114..

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص469 - 464.

⁵ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ص467.

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

شريف والذي اصحب فيما بعد باسم دار الشليحي، كما أنشأ له الباي المذكور زاوية في أولاد عبد النور¹.

كما كان الحكام يصدرن الفرمان لمنع انتهاك حرمة العلماء، كالأمر الذي أصدره صالح باي والذي أكد فيه احترام وتكريم بعض المرابطين وهذا نصه: "... فإننا أنعمنا على المكرمين الأجلين الزكيين الفضلاء السيد بدر الدين وأخيه المسعود أولاد المرحوم ... السيد محي الدين أولاد الشيخ البركة المتبرك به السيد الجودي ووجدنا لهما على مقتضى ما بأيديهما من أوامر إخواننا البايات السابقين قبلنا المتضمنة كرمهما واحترامهما ... وإكرامهما، بحيث لا تنتهك لهما حرمة، ولا يهضم لهما جناب، ولا يقاسون بما يقاس به الغير، ولا يتعدى عليهما يسبب من الأسباب بحيث أنهما يقومون أين شاءوا، ويسافرون حيث شاءوا ... لا يعارضهما أحد، ولا يتعدى عليهما أحد لا قائد ولا تركي ولا شيخ ولا متولى من عمال بلادنا..."².

ح. المراسلات والزيارات:

ساهمت الزيارات والمراسلات في تقريب وتوطيد العلاقات بين العلماء والحكام أين لجأ الطرفان الى تبادل الرسائل³، كرسالة الباشا لابن الفكون أثناء تمرد صالح باي كما أشرنا إليه سابقا، وكذلك دوره في ثورة ابن الأحرش والتي حملت الثناء والاحترام لأبن الفكون الذي دافع عن قسنطينة أثناء غياب الباي جاء فيها: "... أما بعد فرانا نستكثر خيرك ومن نشأن وقوفك وصيانتك البلاد ونصحك وحمايتك العباد... أن خيرك معنا سابق فإن ذلك منك معروف..."⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 468.

² رشيدة شكري معمر، المرجع السابق، ص 106.

³ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 412.

⁴ الصالح بن العنتري، المصدر السابق، فريدة مؤنسة، ص 72.

أما في رسالة أخرى حث الباشا العلماء والناس في قسنطينة في التعاون مع الشيخ بن الفكون للدفاع عن المدينة جاء فيها: "... نوصيكم أن تكونوا حالا واحدة مع الشيخ بن الفكون فإنه عصبتكم في مهامكم ومرشدكم في نوائبكم..."¹.

كما وجه الباشا رسالة ثالثة لأبن الفكون والعلماء يستبيح فيها دم الإنكشارية الذين ساعدوا الباي أحمد شاوش القبائلي سنة (1808م) جاء فيها: "الحمد لله جوابنا هذا يتصل بيد أحبائنا وأولادنا أولاد سيدي الشيخ الفكون، ثم كبار العلماء ثم كبار الديوان، ثم ناس البلاد..."².

ويذكر جمال قنان أن هناك رسالة كانت من الشيخ محمد بن عبد الكريم موجهة للداي حسين كُرد على ما وصل الى مسامعه من شكاوى، حيث نفى الشيخ محمد بن عبد الكريم قائلا: "... فالذي يصل مقام سيدنا أدام الله عزه... إن لم أطلع من نشفه بأذني ولم يشتكي به أحد لي... ولو علمنا ذلك يقينا لوجب علينا الإعلام، إن كتمان الشهادة من أعظم الآثام..."³، كما كان للزيارات بين الحكام والعلماء وجه من أوجه التحالف بين الطرفين.⁴

د-الإعفاء من الضرائب:

كان إعفاء العلماء بكل مرجعياتهم الدينية ومكانتهم الاجتماعية من الضرائب إستراتيجية من الحكام لضمان ولاء العامة، وتحصيل الضرائب، ونشر الأمن والسلام⁵، حيث سمحت لهم السلطات بإقامة الولاء لجلب الإلتباع تجنباً لحدوث الاضطرابات التي تواجهها⁶.

وتعتبر عائلة الفكون من بين الأسر العلمية التي شملها هذا الإجراء حيث تم إعفاء جميع أملاك آل الفكون من الضرائب والغرامات سواء أكانت هذه الأملاك في المدينة أو الريف، إضافة الى إعفائهم من السخرة وضريبة دخول المدينة والخروج منها، كما تم إعفاء

¹ محمد صالح العنثري، المصدر نفسه، ص73.

² محمد صالح العنثري، المصدر نفسه، ص77.

³ جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الوطنية للطباعة، 1987، ص 277.

⁴ رشيدة شكري معمر، المرجع السابق، ص125.

⁵ رشيدة شكري معمر، المرجع نفسه، ص118.

⁶ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص79.

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

الخدم الذين يعملون عندهم، ورعاتهم ومساعدتهم، والمتصلون بهم من الغرامة، وفي الغالب كانت هذه الإعفاءات تأخذ الطابع الرسمي والمتمثل في الفرمانات التي كان يصادق عليها من قبل البايات، أو الباشاوات كإعفاء زاوية سيدي عبد الرحمان الأخضرري من الضرائب بختم بايات قسنطينة والتي نالت هذا الامتياز بعد مئة وأربعة عشر سنة (114) من وفاة مؤسسها الأخضرري¹، وقد تم إعفاء الكثير من المرابطين من الضرائب من قبل البايات، كما كان الحال في قسنطينة أين اعفى الباي حسن بوحنك المرابط الشليحي من دفع الضرائب².

هـ- منح الاقطاعات:

عمل الحكام على إبقاء ولاء العلماء لهم وذلك بمنحهم امتيازات وعطايا تمثلت في منح الاقطاعات، لذا منح العلماء الأراضي عوض الأجر وبالخصوص المرابطين منهم³ كما فعل الباي حسن بوحنك باي قسنطينة أين منح أراضي الشليحي⁴، وقد كان لآل الفكون نصيب من هذا الامتياز تمثل في التمتع والتصرف في الأراضي التي كانت تقيم عليها قبيلة أولاد جبارة، واستفادوا الى جانب شيوخ زوايا ومرابطين مقيمين بمدينة قسنطينة، كأولاد باش تارزي، وأولاد بن تشكو من أراضي منحت لهم من قبل البايات عرفت بمتاع عزل الجبل⁵، ويعتبر هذا الامتياز الذي منح لهم ضمانا لحرية العبور وولاء العامة لسلطات العثمانية⁶.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 75 - 470.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 468.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد لعثماني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 117.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 468.

⁵ موساوي القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771م - 1837) أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1989م، ص 156.

⁶ SAIDOUNI NACAR EDDINE، OP، CIT، P399.

و-المصاهرات:

لعبت المصاهرة بين العثمانيين والمرابطين والأسر العلمية النافذة دورا كبيرا في ربط الصلة والتلاحم بين الطرفين، حيث سمحت للحكام ببسط نفوذهم وإحلال الأمن¹. واعتبرت وجها آخر لسياسة الحكام لتقرب من هذه الفئات المجتمعية التي تملك وزنا وتأثيرا كبيرين في المجتمع، حيث وجدنا العديد من المصاهرات بين الحكام والعلماء دلت عليها سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة، ولعل من أبرزها المصاهرات والتقارب الذي كان بين صالح باي وعائلة ابن جلول والتي تعد من أكبر العائلات العلمية التي توارثت القضاء الحنفي وكتابة العدل بقسنطينة ويرجح أن صالح باي لم يتزوج من العائلة بل زوج ابنته لها². وقد وجدنا أيضا أن الباي محمد نعمان (1811 - 1814م) قد صاهر الحاج بن عاشور وفق عقدهذا نصه: "تزوج على بركة الله المعظم الأرفع الهمام الأنفع سيدنا محمد نعمان باي أيده الله ونصره بأمة الله الحرة الجليلة جلبية بنت المرحوم بكرم الحي القيوم الحاج بن عاشور المالكة أمر نفسها على صداق قدره ألفين ريال (2000) وقفطانان وحزامان، و... زوجها المكرم الأجل القايد عنبر قائد دار حرم السيد الباي المذكور..."³ وكذلك وجدنا مصاهرات تشير إلى زواج الداوي شعبان من نفيسة ابنة العلامة محمد بن عبد المؤمن، وتقارب وتصاهر ابن نعمون وابن باديس مع الانكشارية⁴.

¹ محمد المهري شعيب، المرجع السابق، ص61.

² فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ج1-2، 1998م، ص1512.

³ جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببائك قسنطينة، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري،

قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008*، ص ص 112 - 113.

⁴ فاطمة زهراء قشي، المرجع السابق، ص116.

3- نتائج التحالف والولاء:

أن نتائج التحالف والتقارب بين العلماء والسلطة أفرزت لنا عاملين، عامل سياسي بمقتضاه عرفت السلطة استقرارا في الحكم وهدوءا خاصة في المراحل الأولى، وعامل اجتماعي خص به العلماء من قبل العامة والسلطة معا تمثل في نظرة التقدير والاحترام لهم كونهم منقذين جدد، ومن هذا المنطق تبرز أهم نقاط التحالف بين الطرفين:

- الطابع الإقطاعي: وتمثل في الاستفادة من الامتيازات الكبيرة التي منحت للمرابطين والعائلات العلمية الكبيرة، حيث منحت لهمك العديد من الأراضي كمتاع عزل الجبل التي كانت من نصيب أولاد باش تارزي وأولاد بن تشيكو إلى جانب شيوخ زوايا ومرابطين وتمتع آل الفكون بأراضي كانت تقيم بها قبيلة أولاد جبارة كما ذكرنا سابقا¹.

- بسط نفوذ السلطة العثمانية على السكان وضمان التبعية دون وجود عوائق كانت ثمرة استغلال الحكام للعلماء وبخاصة المرابطين².

- الدعم اللامتناهي للعلماء وشيوخ الزوايا والمرابطين ساعد في هيمنة السلطات العثمانية وتوسعها خارج حدود المدينة أي في اتجاه الباي لك، وإخماد عمليات التمرد والحركات المناوئة لسلطة بايعاز من العلماء مقابل امتيازات واعترافات بالنفوذ داخل المجتمع³.

- تقرب العلماء من السلطة الحاكمة إما لأمر دينية كالتحريض على الجهاد وتأييد ذلك وتأليب الرأي العام للوقوف الى جانب السلطة صفا واحدا، وإما لأمر الدنيا كطرح القضايا الشخصية والبحث عن الاستزادة المالية⁴، لذا نقول أن التقاء المصالح شكل التحالف بين سلطتي الدين والسياسة.

¹ موساوي القشاعي فلة، المرجع السابق، ص156.

² الفيلاي محمد الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفي وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن الجرافيك، الجزائر، 1976، ص29.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1830/1800م، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص61.

⁴ أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، ج1، ص410.

ثانياً: التوتر والعداء

عرفت نهاية الوجود العثماني في الجزائر تغيرات بموجبها تم طلاق التحالف الطبيعي بين العلماء والسلطة والدخول في مرحلة القطيعة والتوتر والعداء، وسنبرز أهم المحطات التي ساعدت على حدوث التوتر والعداء.

إن سياسة الحكام المتقلبة والمنحازة جعلتهم لا يستطيعون الصمود أمام التحولات الاجتماعية، لذلك انقلبت الموازين واختلقت وجهات النظر بين مرحب ورافض، وأصبح موقف بعض العلماء المساند معارضا، حيث كان للشق الاقتصادي دورا مهما في توجيه نظرة العلماء اتجاه السلطة، فكانت السياسة الضريبية الجائرة المفروضة على العامة والعلماء على حد سواء، والتي قلصت من نفوذ وامتيازات فئة العلماء وبخاصة المرابطين وأصحاب الطرق الصوفية الفيصل في هذه العلاقة، أين قامت برفض هذا الإجراء واعتبرته إهانة وإخلالا بمختلف العهود والمواثيق التي كانت تمنح الامتيازات و الإقطاعات والإعفاءات الضريبية، وغيرها للعلماء، إضافة إلى السياسات العثمانية التي ارتبطت بهذا الإجراء والمتمثل في التتكيل و القتل و المصادرة و السجن و العزل من الوظائف و مصادرة الأرزاق ... الخ.¹

1- مظاهر التوتر:

أ- السجن:

زُج بالكثير من العلماء في سجون السلطة أما لمعارضتها أو لتهم وجهت لهم أو لعدم وجود سبب كما فعل الداوي شعبان الذي قام بسجن جمع من الناس بمدينة قسنطينة أثناء طريقه إلى تونس مما اضطر الفقيه ابن عم الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكهون للتدخل لدى الداوي لطلب الإفراج عن هؤلاء الجمع، لكن طلبه قوبل بالرفض رغم الفدية المقدمة من طرف الشيخ لإطلاق سراهم والمقدرة بخمسمائة ريال (500)، لكن الأمر لم يتوقف هنا فحسب بل قام الداوي بسجنه هو الآخر.²

¹ رشيدة شكري معمر ، المرجع السابق ،ص ص 198-199

² أبو القاسم سعد الله، من أخبار الداوي شعبان، عدد 8، 1980.

أما آل باديس فقد مروا بحياة متقلبة مع العثمانيين، فيها السجن والتغريم، حيث سجن وغرم بن محجوبة، إضافة إلى سجن عبد اللطيف المسبح أحد العلماء والفقهاء عند فراره من قصر الباشا إلى زاوية أين القي عليه القبض، وقام الباي محمد بن فرحات باي قسنطينة هو الآخر بسجن الشيخ عبد العزيز النفاتي إلى أن توفي في سجنه، ويذكر سعد الله عن رواية للفكون أن التتافس الذي كان بين محمد بن نعمون و أحمد بن باديس حول أحوال الدنيا انتهى بتغريم وسجن ابن باديس من قبل باشا الجزائر¹.

ب -النفى:

لقد طال النفي العديد من العلماء في الجزائر عموما وقسنطينة وعلى وجه الخصوص فقد قام الباي احمد القبائلي يقبل على احمد أغا وعلى باي، وقد افسد الخزينة وأعطى المال للعسكر ثم ظهر له أن العسكر خان وندم على الفساد وقد أمر الشيخ فتح الله القسنطيني أن يكتب لباسا الجزائر ويقول: أن احمد شاوش القبائلي ما فعل هذا الفعل إلا بإذن أهل البلد والعسكر فقال له الشيخ المذكور: أنا لا اقدر أن اكتب على أهل البلد الأمر الذي لم يؤذونني فيه، ولم يحضروا في فعله ولو كنت عاقلا ما فعلت هذا الفعل الذي فعله فخشن معه الكلام كثيرا، فأجاب احمد شاوش القبائلي يلزمك أن تخرج من بلادي وتمشي الى عنابة ولا تبقى في بلدي ولو ساعة، فخرج البلد وبعث في أثره اثنين فقتلاه².

¹ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1، ص ص 403-422.

²القطار، المصدر السابق، ص ص 145 - 146.

ج - العزل:

أخذ العثمانيون العزل كإجراء تعسفي ضد العلماء في قسطنطينة خلال العهد العثماني وقد كانت هناك أمثلة كثيرة عن عدة علماء عزلوا لسبب أو لآخر كما كان الحال مع ابن نعمون الذي عزل من منصب الإفتاء، وقد كان للوشاية والحسد دورا في عزل بعض العلماء من وظائفهم كما حدث بين ابن نعمون وأبو العباس أحمد حميدة بن أبي زكريا يحيى بن باديس¹.

ونفس الشيء حدث لعبد القادر الراشدي القسطنطيني نتيجة الحسد أين قرر خصومة محاربه ومحاكمته ونفيه تمهيدا لعزله كما نجحوا في تأليب صالح باي ضده حيث عزله من التدريس والفتوى².

د - القتل:

لجأ الحكام إلى قتل كل من يعادي سلطتهم أو يتنكر لهم، كما حدث للشيخ سيدي عبد المؤمن حين كان على رأس مشيخة البلاد فصالحوه ولم يزلوا ينصبون له حبائل المكر والخداع حتى تمكنوا منه أين قاموا بدعوته لضيافة بقصبة المنصورة، فأجابهم وخرج إليهم أما فقتلوه وسلخوا جلده وملئوه قطنا وأرسلوه إلى الجزائر³.

كما قدم شاكر باي المعروف بالبطش والاستبداد بقتل الباش كاتب محمد بن المكي السياسي، والذي ينحدر من عائلة قسطنطينية وهي عائلة سيدي عل الحاج⁴. وقد كان الباي محمد بن فرحات سببا في وفاة الشيخ عبد العزيز النفاتي حين قام بسجنه⁵.

¹ الفكون، المصدر السابق، ص 83.

² أوجرتني، المرجع السابق، ص ص 163 - 164.

³ العطار، المصدر السابق، ص 125.

⁴ محمد المهدي شعيب، المرجع السابق، ص 82.

⁵ أبو القاسم سعد اله، المرجع السابق، ج 1، ص 421.

هـ - المصادرة:

اعتبرت مابين السياسات التي تضيق الخناق على العلماء وهي بمثابة إجراء تأديبي، حيث يذكر لنا الدكتور أبو القاسم سعد الله بخصوص علماء قسنطينة أن الداوي شعبان قد أهانهم وصادر ممتلكاتهم لأنه كان محبا للمال، ورغم بعثه الوساطة التونسية التي أرسلها باي تونس لأجل إصلاح ذات البين، والتي رفضت هي الأخرى وأهينت وصودرت أملاكها لم تتجح في وساطتها لتعنت الداوي المذكور¹.

وحتى صالح باي الذي تغير حاله من أحسن إلى أسوأ أين أصبح يظلم العلماء ويهينهم، ويروي لنا العنتري انه: "صار يظلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية"²، كما لم يسلم شيوخ بعض الزوايا من الاعتداء على زواياهم ومصادرة ما لديهم من أنعام.

و- سياسة التفرقة:

أن تشجيع العداء والتنافس الذي قام به الحكام، كان لدوافع أزمة اقتصادية وعسكرية عانت منها الجزائر، إضافة إلى استغلال أطراف من اجل إخماد ثورة الثائرين ضد السلطة فاستغلال العثمانيين للعلماء وخاصة المرابطين لبيسط نفوذهم على السكان وكسب ولائهم سمح بانتهاج سياسة التفرقة، والتي تجسدت في إثارة الأحقاد والضغائن وتعميق الهوة بين العلماء وتحريض بعضهم على بعض من اجل الانقضاض على خصومهم³.

وقد تمثلت هذه السياسة كما ذكرنا سابقا في نشر العداء والتناحر بين القوى المحلية الدينية والعلمية، حيث أذكوا النار بين اكبر عائلتين بقسنطينة عائلة الفكون وعائلة عبد المؤمن، حيث كان النصر لعائلة الفكون التي أذعنت للعثمانيين فبجلوها ومنحوها ركب الحج بعد ما كان لأل عبد المؤمن، ويشير احمد باي في مذكراته إلى سياسة التفرقة وضرورتها، لأن الحرب هي من عادة الأعراب وان الذي يريد أن يحكم ويسيطر عليهم بتوجب عليه إبقاءها بينهم وان يحرص إثارة المشاحنات بين القبائل والأصول والأجناس لان حالة السلم

¹أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ...الداوي شعبان، ص112.

²العنتري، المصدر السابق، ص78.

³رشيدة شذري معمر، المرجع السابق، ص ص 173 - 175.

تقرب العرب وتقوي اتحادهم، كما لم يسلم التمدّيب الفقهي من سياسة التفرقة حيث كان التنافس بين الأحناف والمالكية شديدا والذي ظهروا كأنه صراع مذهبي بفعل انحياز الحكام لعلماء الأحناف على حساب علماء المالكية وإذ كاء النعرات الفقهية بين علماء المذهبين¹.

2- نتائج وانعكاسات العداء بين العلماء والسلطة:

اغتم ابن الأحرش غياب الباى عثمان فى إحدى حملاته لتحصيل الضرائب بناحية سطيف وتوجه نحو مدينة قسنطينة بتعداد عشرة آلاف مقاتل (10000)، دون أن يعلم سكان المدينة بما يجري ومكذبون فيما يبلغهم عنه، ولم يشعروا به والأمر منحلة ليس لهذا أساس ولا قواعد مدعمة ولا استعداد لما هو آت، ولما وصل بجيشه لرأس الحامة اهتم أهل البلد لدعوته المتقدمة وتهيئوا لقتاله، وقالوا لا بد لنا من مدافعتة فنها واجبة علينا فى أول الأمر وهناك تظهر مقالته التي سمعنا بها ولا يمكننا تصديقها آل بعد تكلم البارود².

وكان فى مقدمة الركب الذي خرج لملاقة ابن الأحرش الحاج احمد بن الأبيض الذي ولى و أصحابه الدبر أمام ضغط مقاتلي ابن الأحرش، وتحصنوا بالمدينة للذود عنها، وفى ظل هذه الظروف شرع الحاج احمد بن الأبيض والشيخ محمد الفكهون بإطلاق أعيرة المدافع التي فرقت صفوف مقاتلي ابن الأحرش والتي نتج عنها خسائر فى الأرواح فى صفوف أنصاره قدرت بحوالي مائتي مقاتل (200)، لهذا قرر الهجوم على المدينة ليلا لكنه أصيب وانسحب إلى وادي الزهور، ولما سمع الباى عثمان بخبر الهجوم، عاد إلى مدينة قسنطينة ونظم جنده وسار فى اثر ابن الأحرش، خاصة بعد رسالة الداى الذي يأمره فيها بالنقضاء على ابن الأحرش، وقد تحالف هذا الأخير مع الزيوشى الذي كان له صيت بين القبائل والتي أيدت ابن الأحرش فى مسعاه³.

وبما أن الحرب خدعة فقد حاول الباى عثمان الالتفاف حول أصحاب النفوذ فى القبائل، فوجد فى المرابط بن بعريش الرجل المناسب والذي كان عمله بوجهين، حيث كان

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 404.

² صالح العنتري، مجاعات قسنطينة: تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص ص

14-30

³ رشيدة رشدي معمرى، المرجع السابق، ص 183.

الفصل الثاني ————— علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

صديقا للزبوشي حليف ابن الأحرش وسنده، وقد عمل بن بعريش على تضليل الباي وذكره أن القضاء على ابن الأحرش قاب قوسين أو أدنى، وان جل القبائل قد نفرت منه وهكذا قد انطلت الحيلة على الباي عثمان وقدم له أفراد قبائل ماجورين اظهروا له الولاء وطلبوا منه المدد للقضاء والإمساك بابن الأحرش¹.

وقد أوفد الباي عددا من الفرسان والتي قدرت بحوالي مائتي (200) فارس الى واد الزهور وبإيعاز من بن بعريش حوصرت القوات وقتل الكثير من الفرسان وفق كمين محكم من هذا الأخير، الذي قتل من قبل الباي جزاء عمالته لابن الأحرش².

ولما وصل خبر المحاصرة هب الباي للمساعدة وفك الحصار، ولما أراد التراجع لم يستطع مما اضطره للمرور بمجرى الوادي أين دبرت المكيدة، بحيث حولت شركة من مسيل الوادي المذكور عن مجراها الأصلي إلى المرجة التي بها المحلة ليلا، حيث لم يشعر أهلها بتلك المكيدة حتى أدركهم الغرق لخضخاض المرجة وشدة الوحل فلم ينجوا من تلك المحلة إلا القليل³.

وبعد الحادثة والتي مات فيها الباي عثمان سنة (1219هـ/1804م)، وتلفت خزائنه وكل ما احتوت عليه محلته من أرزاق ومال ونحو ذلك، ولما علم الداوي مصطفى باشا بمقتل الباي عثمان أرسل الحاج علي أغا على رأس جيش مرفوق بالباي الجديد لقسنطينة عبد الله بن إسماعيل وأمره بتقفي اثر ابن الأحرش، وكان له ذلك، حيث ألحق به هزيمة نكراء نواحي ميلة وسرعان ما استجمع ابن الأحرش قواه محاولا في السيطرة على بجاية عام 1806م، لكنه مني بهزيمة وتأييد قبلي أدت إلى مقتله وتضاربت الإخبار حول تاريخ ومكان دفنه⁴. وبالتالي رغم الصدع الذي أفرزته الثورة والتلاحم القبلي حولها إلا أنها فشلت في مسعاها وهدفها في الحد من ظلم آل عثمان وتعسفهم.

¹الطار، المصدر السابق، ص 47.

²رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص 184.

³العنتري، المصدر السابق، مجتعات، ص ص 32، 33.

⁴رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص 185.

المبحث الثاني: علاقة العلماء بالمجتمع ودورهم الاجتماعي

لقد مرت العلاقات التي ربطت العلماء بالمجتمع بمرحلتين تميزت الأولى بشبه قطيعة تزامنا ودخول الاتراك بلد قسطنطينة، حيث كان هدف أغلب العلماء البحث عن أحوال الدنيا والاستزادة المالية و المناصب والامتيازات والإعفاءات الجبائية والاهتمام بالتقرب إلى السلطان على حاب الرعية، أما الميزة الثانية والتي تزامنت ونهاية الوجود العثماني بالجزائر فبدات ملامحها تلوح إلى القطيعة مع السلطة مما دفع العلماء للتقرب من أفراد المجتمع، هذا التقرب لم يكن بدافع الود لمعظم العلماء، وإنما كان بدافع الانتقام من السلطة وإجراءاتها التي بموجبها فقد العلماء الكثير من الامتيازات، فهذا التفسير لم يطل كل العلماء اللذين لا نشك في إخلاصهم لمبادئهم وللعمامة، وهو ما سيظهر لنا جليا من خلال دورهم في محاربة بعض الآفات الاجتماعية، ومعالجة بعض قضايا المرأة التي تعد ركيزة المجتمع .

أولا: العلماء والآفات الاجتماعية

يذكر لنا أبو القاسم سعد الله أن الفكون قال : "أن تناول التدخين قد شاع أمره بين العامة والخاصة، وان العامة تقلد في ذلك كبراء البلد ، و بعض العلماء أفتوا بحلته ولم يعتبروه مسكرا ولا مضرا فأقبل عليه الناس لما يجدون فيه من النشوة والراحة، وكان هو يراقب ذلك فيحز في نفسه وليس له من سلاح سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فإذا به يصبح عدوا لمن نهاهم و إتخذوا هزوا وهجره أصحابه فلم يسعه الا الصمت وتغيير المنكر بالقلب ، مشيرا إلى أن معظم العلماء أفتوا به بإباحة الدخان، واللذين كانوا في نظره متساهلين في الدين و تعاليمه، أو خادمين لأصحاب السلطة و النفوذ، ولم يكنوا يراعوا أحكام الشرع ومصلحة الأمة¹.

وقد ثار ثورة قوية ضد تعاطي التدخين والحشيشة الذي رآه حراما لا مراجعة فيه، كما ثار ضد ما يعتبره النفاق الاجتماعي عوند فئة الأعيان وإظهار ما لا يبطنون، فكانت ثورته ثورة علم ودين وأخلاق، فهو لا يريد منهم أن يكونوا مثلا للإنسان الكامل وان يتجردوا من الحسد والهوى، وأن يعملوا بالدين في المعاملة، وقد أكثر من الإشارة الى شيوع بعض الآفات

¹أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص157.

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

التي اعتبرها أمراض اجتماعية كشراب الخمر والخنا ونوادي العريضة و الإنشاد وحضور الحضرات الصوفية¹.

وقد عرف الحشيش رواجاً في أواسط المجتمع، حيث كان يفقد التركيز ويصيب العقل بالهلوسة وكان له أماكن خاصة لتناوله و تعاطيه تسمى المحشاشة²، وقد ذكر الفكون أن تناوله لم يكن مقتصرًا على العوام وإنما وصل حتى العلماء كأحمد الجزائري الذي كان من أهل الفتوى والشورى والذي عمل بناية القضاء في قسنطينة وكان يصلي بقواد المدينة، وكان ذا نباهة وصدِّ في بداية أمره، فاعتراه بعض النقص في إدراكه في آخر أمره ويقال أن سببه أكل البلادر "الحشيش"³، كما اعتبر تناول الخمر من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي كانت في أغلب الأحيان تؤدي إلى القتل ونشر الفوضى بالمدينة، مما جعل السلاطين يصدرن فرمانات بمنعها ومعاقبة كل من يخالف الأوامر⁴.

وان الإفراط شربها قد جلب انتباه العلماء الفقهاء على اعتبار تعاطيها يسبب الكثير من المفسد، منها التقصير في مزاولة الواجبات الشرعية والإدمان، وقد دبّ الخلاف المذهبي في بعض الجزئيات المتعلقة بالخمر في مسألتَي التحريم والتحليل، مما أطال أمد تناولها بين أفراد المجتمع⁵.

والى جانب العلماء قام بعض الحكام كالباي محمد المنماني بتوجيه رسالة إلى الداوي حسين باشا يعبر له فيها عن وصول ظاهرة شرب الخمر والإدمان عليها إلى دواليب بيت الحكم ، فذكر له الخليفة محمود بن شاکر باي وكيفية فساد سلوكه وشربه وإدمانه على الخمر حتى في شهر رمضان، ثم تساءل عن نجر الناس والحكام يشربون دون مراعاة لحدود الله⁶.

¹أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص26.

²أوجرتي، المرجع السابق، ص.230

³الفكون المصدر السابق، ص70.

⁴وليام شاکر، مذكرات وليام شاکر قنصل أمريكا بالجزائر (1818-1824)، تعليق وتعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص55.

⁵أوجرتي، المرجع السابق، ص229.

⁶أوجرتي، المرجع السابق ، ص132.

وقد عرج الفكون على تواطؤ السلطة المحلية مع من يسميهم اللصوص والحراية في الأرياف، ومن يسميهم أهل نوادي الفساد والحانات والخمور والدخان ونحوهما في المدينة وعدم اهتمامها ومراعاتها لأمن ومبادئ المجتمع¹، كما لم يرضى بالحالة العلمية التي عليها بلاده، فقد كان يرى شيوع الجهل والانحطاط الأخلاقي ومت الضمير في معظم من خالط و رأى، وقد استنكر الشيخ عبد الرحمان الأخضرى والشيخ عبد الكريم الفكون كل أنواع الآفات الاجتماعية والبدع والخرافات وأهل الضلال، الذين اعتلوا المناصب الدينية و حاربوهم كونهم غير مؤهلين لتوليها.²

ثانيا: العلماء والمرأة

يعتقد العلماء أن انحطاط المجتمع يعود إلى الضعف العقائدي للمرأة وانحرافها عن تعاليم الشرع، مما أوقعها في خانة الإشاعات وتعلقها بالغيبيات، ولقد اخبرنا "هايدو" أن النساء كان جل اهتمامهن استعمال وسائل الزينة والتجميل والزيارات وارتيادهن الحدائق والمنتزهات بعيدا عن أعين الرجال، إضافة الى زيارة الأولياء والمرابطين والمقابر وأماكن تواجد السحرة، والذهاب إلى الأعراس والحفلات وحضور الحضرات رفقة المشعوذين³. كما عرف العهد العثماني اختلاف وجهات نظر العلماء حول المرأة وما يرتبط بها كونها إحدى أهم مكونات المجتمع، فالغناء والرقص مثلا كان لا يمكن الاستغناء عنهما في المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج وفي الحمامات حيث يلتقن⁴.

فالرقص النسائي الذي كان بعضه يعتمد عليه لإثارة الجنسية وهو بالطبع خارج نطاق الأخلاق وتعاليم الشرع و الذي نبذه جل العلماء، الى جانب وجود أنواع من الرقص كانت في نظر السلطات عادية كالرقص المختلط لأهل البادية، ورقص نساء الحضر في الحمامات، والرقص في المدن كان مقتصرًا على النساء غير الحرائر، وقد جرت العادة أن يمارس

¹ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص ص 130-131.

² الفكون، المصدر السابق، ص31.

³ أوجرتني، المرجع السابق، ص222.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 441-444.

الرقص بنات الهوى والوصيفات، وكن يستدعين للحفلات ويعطين أجورا عالية، كما أنكر الفكون اختلاط النساء بالرجال في الرقص الذي لجأ إليه بعض أهل التصوف.¹

وتشير المصادر إلى أن المرأة هي من قامت بتهميش نفسها والبعد عن قوتها ومكانتها المحترمة، حيث أصـبحت تعتقد بما لا يقبله العقل، فجعلت من الخرافات والغيبيات هما يسايرها، وقد روى حسن الوزان أن المرأة ساهمت في رواج الخرافات والخوارق كقصة السلاحف المشهورة التي رأت فيها النساء أن مدينة قسنطينة بنيت على بيت تلك السلاحف.² و كانت ظاهرة انتشار البغاء والدعارة خطر على بنية المجتمع، مما جعل القضاة و العلماء يتحركون لمحابة الدعارة ومعاقبة فاعليها، وقد أفتي الكثير من العلماء بضرورة حصر المرأة والتضييق عليها في مسألة الخروج من بيتها، وتحريم خروجها الى الأحياء والأزقة والشوارع تجنباً لفتنة الغواية والاختلاط، ودعوتها لإتباع تعاليم وأحكام الشرع الحقة من اجل العفة ونبذ التبرج³، كما عمل بعض الحكام على محاربة الرذيلة والاعتداء على المرأة آخذين بعين الاعتبار تعاليم الشرع في تنفيذ العقوبات كأحمد باي قسنطينة⁴.

وقد استنكر الفكون على أهل عصره من المتصوفة الذين انحدروا بالتصوف الى الدرك الأسفل وحولوه الى حضرة فيها الرقص والموسيقى والإنشاد وغيرها من البدع والمنكرات، كما أعاب عليهم مخالطة المفسدين وإعطاء العهد والدخول على النساء في بيوتهن كالشيخ بوكلب الذي تعلق بإمراة وتعلقت به حتى أنها كانت تبيت عنده وحملت منه، إضافة إلى الشيخ الحيدوسي الذي كان يتمتع بالنساء غيبة وحضوراً⁵.

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 437 - 438

² حسن الوزان، المصدر السابق، ص 325.

³ أوجرتي، المرجع نفسه، ص ص 223 - 220.

⁴ أوجرتي، المرجع نفسه، ص 224.

⁵ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص

الفصل الثاني _____ علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما

كما استتكر العلماء أفعال علي ابن مصطفى الانجليز باي قسنطينة الذي، عاث في الأرض فساد، حيث انه كان كثير الفسق والزنا، وكان يغتصب نساء الناس في ديارهم من غير عرض منهم، وقتله للكثير من النساء، وبالتالي كانت أفعاله سببا في عزل أبيه¹. وفي الختام، وعلى بالرغم من الانحلال الديني الذي عُرف عن الأتراك والذي ساهم بشكل أو بآخر في التأثير على فئات المجتمع القسنطيني والاستغلال الغير مشروع لمبادئ المذهب الحنفي والذي يعتبره المالكيين مذهب الرخص في عدة مسائل تخص حياة الفرد في المجتمع، استطاع بعض علماء قسنطينة معالجة بعض الآفات الاجتماعية بالأساليب الشرعية (الفتوى)، و بعض القضايا عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(النصح والوعظ والإرشاد...) الخ .

¹رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2010/200، ص63.

خاتمة

وفي ختام هذا العمل ، توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها .

1-احتلت مدينة قسنطينة مكانة مرموقة بفضل موقعها الاستراتيجي، ومكانتها الاقتصادية والسياسية جعل منها منطقة جذب والهام لمختلف الأمم والشعوب ، كما شهدت الفتوحات الإسلامية ، و الهجرات الهلالية ، و التواجد العثماني الى غاية وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي.

2- تعد الفترة التي سبقت فترة الدراسة ازهى الفترات في تاريخ مدينة قسنطينة ، حيث عرفت المدينة نهضة فكرية وعلمية، تمثلت في انتشار المراكز التعليمية المتمثلة في الكتاتيب والمدارس و المساجد والمكتبات و الزوايا ، وقد دعم الأمراء و السلاطين تشييدها مما أدى الى توسع رقعة المعارف ، وتنوع مختلف المجالات العلمية بين العقل و النقل فيها جعلها مزارا وقبلة للطلبة و العلماء من مختلف الحواضر الأخرى، ساهم بشكل او بآ خرفي تبادل المعارف وكثرة التصنيف والتأليف .

3-فشل المرجعيات الدينية للعلماء في خلق تحالف بينهم يستفيد منه المجتمع القسنطيني في بناء الصرح التنويري والثقافي والحضاري.

هيمنة الأفكار الصوفية المؤسسة لثقافة الأسطورة و الخرافة على مجتمع العلماء فلم يسلم 4-منهم الى العدد القليل.

5- اتسام المرجعية العقديّة لعلماء قسنطينة بالتنوع المذهبي و الاجتهاد و البعد عن التقليد .

6-التزام اغلب العلماء و الحكام في مدينة قسنطينة على التبعية للدولة العثمانية، وعدم التفكير في الخروج على سلطانها، إلا القليل كأصحاب الطرق الصوفية وبعض الحكام كصالح باي .

7- المكانة التي تبوئها العلماء جعلت الحكام يتقربون منهم ،واتخذوا منهم وسطاء بينهم وبين الأهالي وهذا ما يجعلنا نستخلص ان العلاقة التي كانت بين الحكام و السكان قامت أساسا على فئات مجتمعية تمثلت في العلماء و الفقهاء والمرابطين وشيوخ الزوايا وبعض العائلات

النافذة التي كانت هي الأخرى تقوم على إحلال الأمن ، وتحصيل الضرائب مقابل الحصول على امتيازات و إعفاءات.

8- أن فكرة الوحدة الإسلامية التضامنية التي اعتمدها العثمانيون و تقربوا بها من العلماء خاصة فئة المرابطين ،الذين ما فتئوا أن وضعوا لأنفسهم مكانة مرموقة داخل المجتمع القسنطيني ،جعلها تحتكر لنفسها عدة مناصب ووظائف ساعدتها في تشكيل قوة عسكرية وفكرية ومالية زعزعت استقرار الطبقة الحاكمة في قسنطينة .

9- ان سياسة التحالف و التقارب بين السلطة والعلماء لم تكن بدوافع دينية بحتة ، بل كانت دوافع سياسية مصلحة وهي السيطرة على المدينة، وتحصيل الضرائب ، وبسط النفوذ كما أهملوا نشر الثقافة باستثناء بعض الحكام كصالح باي الذي شجع الحركة الثقافية و الفكرية ودعمها بداف حضاري بعيدا عن الدافع السياسي .

10- إن تحالف السلطة مع العلماء اخمد العديد من الثورات، وصد الكثير من الهجمات على المدينة كثورة ابن الأحرش وهجومه على قسنطينة، مما ساهم في مد نفوذ المدينة باتجاه بايليك الشرق ، و كسب المزيد من المناطق النائية .

11- إن هذا التحالف الذي كان أساسه تبادل المصالح و الوساطة ، و إحلال الأمن مقابل امتيازات جعل من فئة العلماء خاصة المرابطين المتعاملين مع السلطة شريحة ذات طابع إقطاعي على حساب الفئات المجتمعية الأخرى في المدينة ، التي حرمت من حقوق كثيرة.

12- ان التقارب و التحالف بين علماء مدينة قسنطينة كان مبنيا على تبادل المصالح ، حيث عمل العلماء على ربط المناطق المتعصية بالسلطة مقابل امتيازات عدة .

13- أن استغلال العثمانيون لفئة العلماء بما فيها القوى الروحية لبسط سلطتهم على السكان كان عائقا حال دون قيام وحدة في المدينة ، وهو الأمر الذي حرس الحكام العثمانيين على عدم تحقيقه منتهجين سياسة التفرقة ، و تقسيم المجتمع القسنطيني إلى فئات ذات امتيازات و مكانة و فئات مهمشة و محرومة الحقوق.

14- إن التحالف الذي جمع بين السلطة وفئة العلماء في مدينة قسنطينة ، كانت المصلحة فيه هي القاسم المشترك بينهما ، حيث شكلوا بهذه المصلحة إئتلافا سرعان ما تحول هذا الأخير إلى قوة مضادة للسلطة .

15- لم يستمر هذا التحالف الى نهاية العهد العثماني ، بل زال بزوال دوافعه كالسياسة الضريبية الجائرة و انتهاج سياسة التنكيل و القتل و السجن و النفي و مصادرة الممتلكات و التفرقة و العزل من الوظائف .

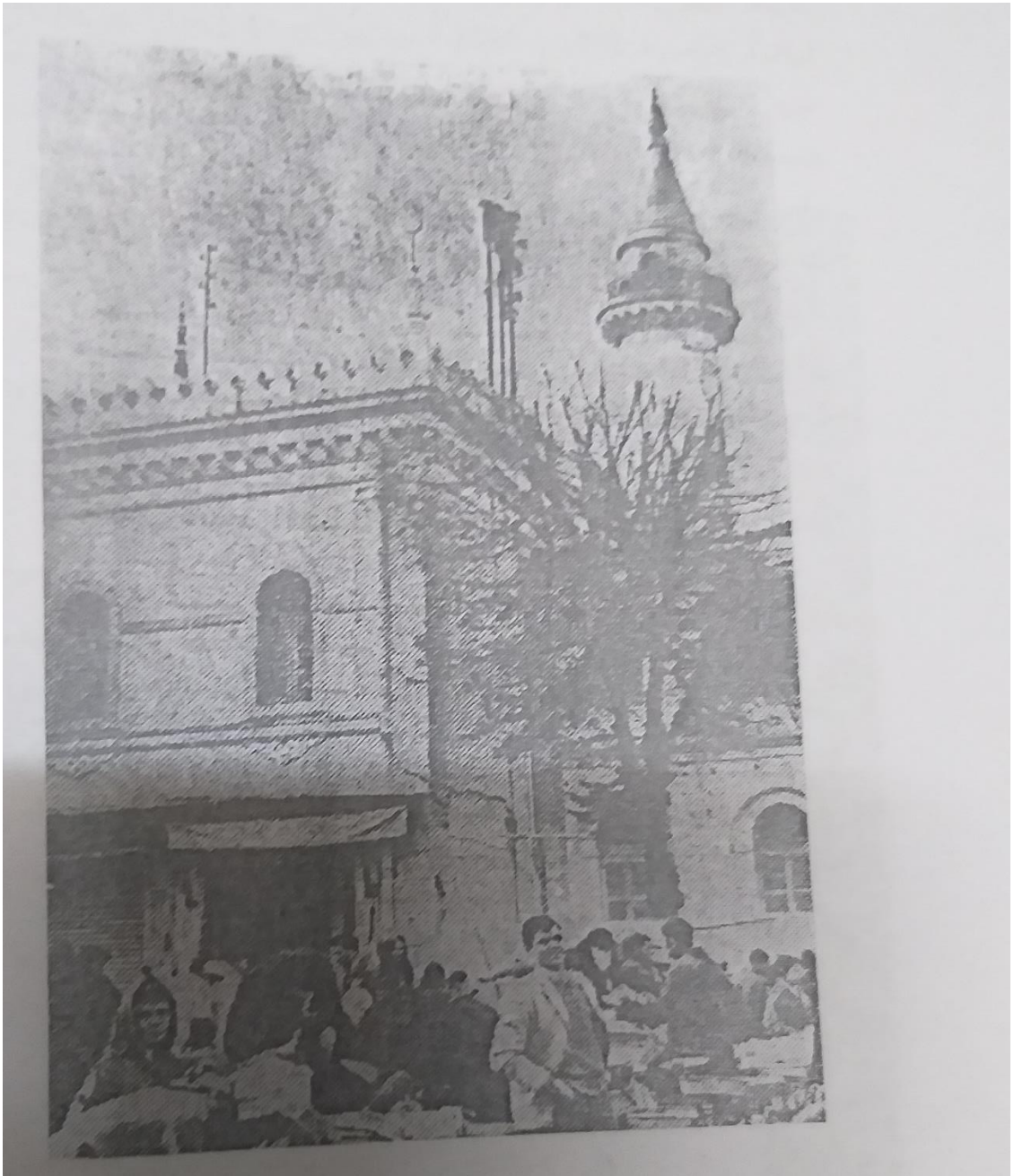
16- كانت ثورة ابن الأحرش والهجوم على مدينة قسنطينة سنة 1803م تحت زعامة العلماء (الطرق الصوفية)، كرد فعل على السياسات الاقتصادية 'السياسة الضريبية' و الإجراءات التعسفية المصاحبة لذلك (جمع الضرائب) ، التي انتهجها البايات ضد الأهالي .

17- بينت هذه الثورة على صلة السكان بالعلماء، أكثر من صلتهم بالسلطة بسبب سياسة البايات الغير ثابتة ، مما جعل مكانتهم و مصداقيتهم تتضاءل عند الطبقة العديمة الحقوق و المحرومة .

18- إن واقع العلماء يجعل منهم جزءا لا يتجزأ من المجتمع القسنطيني ، يؤثر و يتأثر بحيث عملوا على إصلاح المجتمع ، ومن ثمة التصدي لمختلف السلوكات و محاربة أكثر الآفات ، غير أن الواقع حال دون ذلك رغم الاجتهادات.

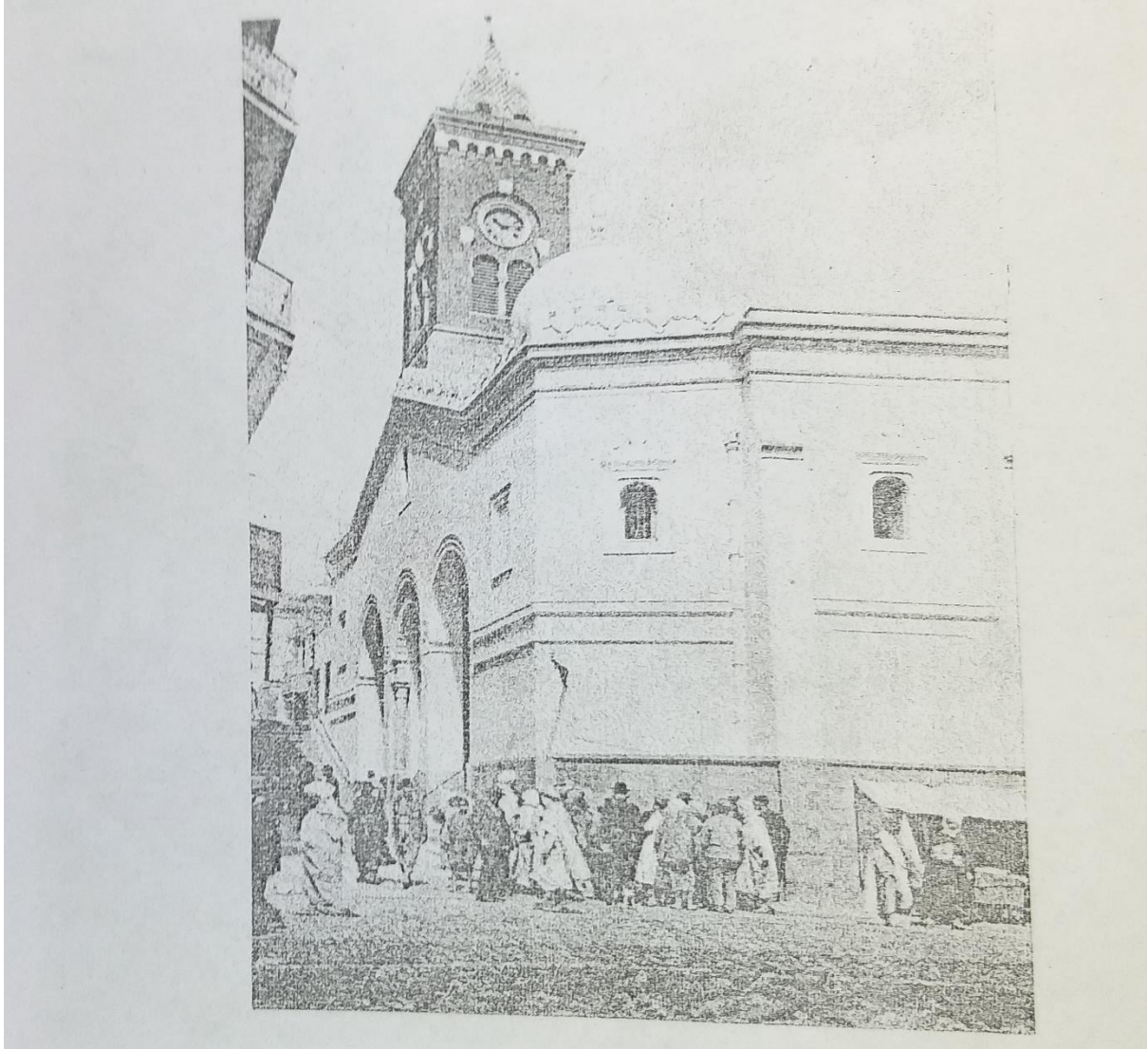
الملاحق

الملحق رقم (01): صورة توضح جامع سيدي الكتاني¹



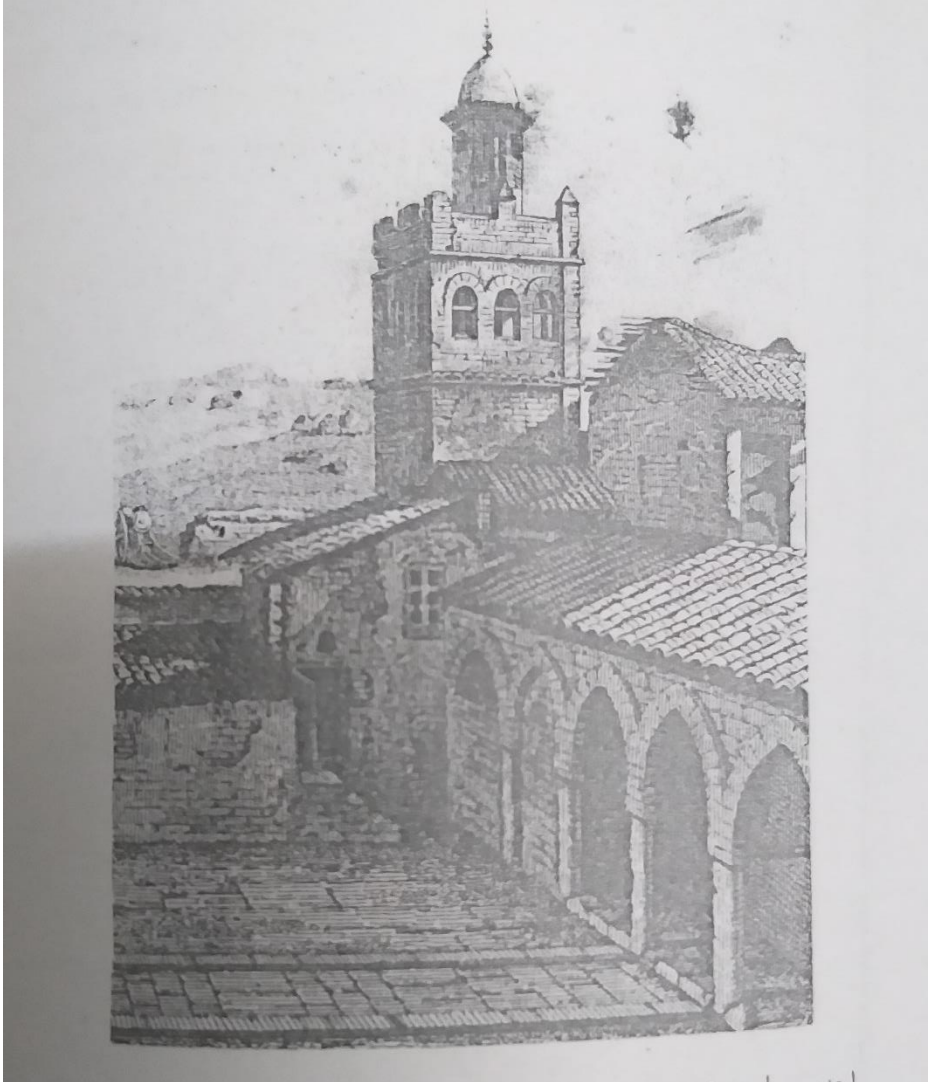
¹ - محمد المهدي بن علي شعيب، المرجع السابق، 238.

الملحق رقم (02): صورة توضح جامع سوق الغزل¹



¹ - محمد المهدي بن علي شعيب، المرجع السابق، 239.

الملحق رقم (03): أحد المساجد التي أزلتها السلطة الفرنسية أل باديس¹



¹ - محمد المهدي بن علي شعيب، المرجع السابق، 251.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. -محمد الهادي عروق، مدينة قسنطينة دراسة جغرافية لل عمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص13.
2. -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص231.
3. -محمد المهدي بن علي ابن شعيب، أم الحواضر في الماضي الحاضر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص80.
4. -الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.
5. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا ليس، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.
6. احمد بن مبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، ص79.
7. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص8.
8. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ذاكر، تلمسان، 2012، ص63.
9. الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ط2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، ص56.
10. أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، ص10.
11. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص39.
12. ابن ابي دينار ابو عبد الله محمد الرعيني القيرواني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ص157.

13. محمد سحنون، آداب المعلمين، تحقيق: حسين حسنى عبد الوهاب، تونس، 1972.
14. صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للجزائر، 2007، ص 136.
15. قويدر عباس، المؤسسات التعليمية في المغرب الاوسط خلال القرن (8هـ/14م) دورية كان التاريخية، العدد 18، دار الناشري، الكويت، 2012، ص 86.
16. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1987، ص 48.
17. ابن قنفذ ابو العباس احمد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 155.
18. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002، ص 145.
19. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ص 43.
20. عبد القادر مباركية، زيد طايبى، النخب العلمية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011، ص 36.
21. ابو العباس احمد بن احمد الغبريني: (ت 704 هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الافاق، بيروت، 1979، ص ص 27-28.
22. محمد ابو زهرة، مالك حياته عصره، آراؤه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1952، ص ص 24 - 26.
23. شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 9 ، ط 11 ، تحقيق الأرئووط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1996 ، ص 98.

24. خير الدين نسيب ، انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب ، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي ، ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس ، وزارة الشؤون الدينية ، عين الدفلى ، الجزائر ، 2008 ، ص66.
25. إبراهيم القادري بودشيش ، صحوة المذهب المالكي خلال القرن 5هـ / مقال إلكتروني جامعة مكناس ، المغرب
26. أبي فارس عبد العزيز محمد القرواني ، الفتوى المالكية في أفعال الصوفية ، جمع و تحقيق أبو أحمد علي الكندي ، مؤسسة بينونة للنشر و التوزيع ، الإمارات ، 2009 ، ص06 .
27. -نجم الدين هنتاني ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ / 11م ، منشورات تير الزمان ، تونس ، 2004 ، ص 75 .
28. -محمد التاويل ، خصائص المذهب المالكي ، جامع القرويين ، فاس ، المغرب ، 2004 ، ص03 .
29. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص65.
30. -عمار جراية، مختصرات الفقه المالكي وجهود الجزائريين في خدمتها، ملتقى عين الدفلى الخامس للمذهب المالكي، أفريل 2009، ص 392 .
31. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العتيقة تونس ، 1985 ، ط2 ، ص191.
32. عبد الحليم الجندي ، أئمة الفقه الإسلامي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1972 ، ص23.
33. محمد أبو زهرة ، أبو حنيفة حياته وعصره ، أراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، 1945 ، ص143 .
34. محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ج2 ، ص137

35. محمد الطالبي ، الدولة الأغلبية ، (184 هـ - 296 هـ / 800 م - 909 م) ،
التاريخ السياسي ط1: ترجمة المنجحي الصيادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
1985 ، ص73
36. حبيب أحمد الكيرواني ، ابو حنيفة و أصحابه،مكتب البحوث و الدراسات العربية و
الاسلامية، بيروت، لبنان، ص52 .
37. الحسين الورتلاني ، نفحة الانظار في علم التاريخ و الاخبار، ج : تحقيق محمد بن
ابي شنب، مطبعة فونتا، الجزائر، 1908 ص 266.
38. عبد الرحمان الجزيري، الفقه على المذاهب الاربعة، ج 4، المكتبة التجارية الكبرى،
القاهرة، 1970 ، ص 30.
39. إسماعيل سامعي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب الاسلامي
من (ق 8 م / 11 م)، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1995، ص 52.
40. عبد القادر نورالدين ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء
العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1965 ،
ص08 .
41. حسين بن رجب شاوس ابن المفتي ، تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر
وعلمائها ، جمع :فارس كعوان ، دار بيت الحكمة ، ص28.
42. عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، ج5 ، بيروت ، لبنان ،
ص118.
43. عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، ج1 ، بيروت ، لبنان ،
ص265.
44. عبد القادر الراشدي ، تحفة الإخوان في تحريم الدخان : تحقيق ودراسة عبد الله
حمادي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص138.
45. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، طبعة دار الغرب الإسلامي ،
لبنان ، 1998 ، ص65.

46. مبارك الملي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية ، ص711.
47. ليلي الصباغ ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول : محمد الأمين المحجي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ط1 ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، 1986 ، ص240.
48. عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830)، دار هومة، ص 9.
49. المحافظة علي، الإتجاهات عند العرب في عصر النهضة (1798-1954) الإتجاهات الدينية و السياسية والإجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1978، ص 17.
50. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية /قسم العلوم الاجتماعية، العدد 18، جوان، 2017، ص 26 .
51. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 79.
52. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتي العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية لتأليف والنشر، بيروت، لبنان، ص31.
53. أحمد بن المبارك العطار ، تاريخ قسنطينة :تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 11.
54. محمد بن مبارك الملي، تاريخ لجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص.232 235.
55. جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الوطنية للطباعة، 1987، ص 277.
56. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد لعثماني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص117.

57. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ج 1-2، 1998م، ص 1512.
58. جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008*، ص ص 112 - 113.
59. الفيلاي محمد الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفي وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 1، دار الفن الجغرافي، الجزائر، 1976، ص 29.
60. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1830/1800م، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 61.
61. صالح العنتري، مجاعات قسنطينة: تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص ص 30-14.
62. وليام شاك، مذكرات وليام شاك قنصل أمريكا بالجزائر (1818-1824)، تعليق وتعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 55.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. *voyssettesuge.Histoire Deconstanti Ne soula Domination Turque De 1517-1837 .Bouchene .Baris .2002.P54.*
2. *Shawld . Voyaagevdansl aregence d'alger ctraduit de l'anglaisparg . Mac calhy . 2éme edition . erition Bousl ama. tunis. 1980.p.153.*
3. *Hourit touqti ، enter dieu et les hommes le ttres siant et sorceiers Magreb 17éme siecl et éditont de l'école des hautes étuddees des en sciences socieles Paris;1994;P82.*
4. *SAIDOUNI، NACER. EDDINE، L'ALGEROIS RURALA'LAFIN DE L'EPOqUE (1791-1830) OTTOMANE) -DER-EL-GHERB- EL- ISLAMI BEYROUTH، 2001، P403*

الرسائل الجامعية:

1. إلهام قاتل، النخبة العالمية في المغرب الاوسط ، (ق 7- 9 هـ / 13 - 15 م) منطلقات الفكر و أنماط السلوك، أطروحة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، كلية

- العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (2018/2017)، ص 65.
2. موساوي القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771م - 1837) أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1989م، ص 156.
3. رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2010/200، ص 63.
4. بن عمر علال، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7-10هـ / 13م-16م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011، ص 37.
5. مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرنين (7-9هـ / 13-15م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والاثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص 47.
6. رشيد شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006/2005، 108.
7. جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع في بايلك الشرق، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2008/2007.

المجلات:

1. عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، العدد 1، جامعة قسنطينة، الجزائر، أفريل، 1988، ص 13.
2. يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية والثقافية في عصر احمد بن قنفذ الفسطيني (740-806هـ)، مجلة سيرتا للعلوم الاجتماعية، العدد 11، جامعة منتوري قسنطينة، ماي، 1998،

قائمة المصادر والمراجع

3. عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق 7-10هـ/13-16هـ)، مجلة جامعة قسنطينة، كلية علوم إنسانية، العدد1، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990، ص14.
4. صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر : مجلة البحوث العلمية والدراسات ، عدد 1 ، جامعة الجزائر ، 2004 ، ص152.
5. صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني: مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد 1، جامعة الجزائر، 2004، ص 163.
6. عبد القادر فكايير، دور العلماء والرابطات في مواجهة العدوان الإسباني على الجزائر، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أفريل 2008، ص286.
7. مجلة عصور الجديدة، عدد 18، أكتوبر 2015، جامعة وهران، الجزائر.

الموسوعات:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع الكتروني :

: Wiki<<https://ar.m.wikipedia.or>

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	شكر و عرفان
أ	مقدمة
الفصل التمهيدي	
الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13-16م)	
06	تمهيد
06	أولاً: مدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا
08	ثانياً: مظاهر الحياة العلمية في مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (13م-16م)
09	1-المؤسسات التعليمية
09	ب-المدارس
11	ج-المساجد
12	د-المكتبات
12	هـ-الزوايا
14	2-نظام التعليم طرقه ومقراته
14	أ-طرق التدريس
15	ب -مقراته
الفصل الأول	
المرجعيات الدينية وتأثيرها على العلاقات بين علماء قسنطينة خلال العهد العثماني	
18	المبحث الأول: المرجعيات الدينية

19	1-المذهب المالكي بالجزائر
20	2-مميزات المذهب المالكي
21	3-علماء الجزائر والمذهب المالكي
24	4-المذهب الحنفي بالجزائر
25	5-بعض مميزات المذهب الحنفي
26	أ-مساجد الأحناف
26	ب-المرأة والزواج
27	6-انتشار المذهب الحنفي في بلاد المغرب
29	7-العلماء والمذهب الحنفي
31	ثانيا: المرجعية العقديّة
33	ثالثا: المرجعية الصوفية
34	1-العلماء والمرجعية الصوفية
37	المبحث الثاني: تأثير المرجعيات الدينية على العلاقات بين العلماء
37	أولا: تنافس العلماء بين الأسباب والنتائج
41	ثانيا: التآخي والاحترام
<h2>الفصل الثاني</h2> <h3>علاقة العلماء بالسلطة والمجتمع ونتائجهما</h3>	
44	المبحث الأول: علاقة العلماء بالسلطة والنتائج المترتبة عنها
44	أولا: التحالف والولاء
44	4-أسباب التحالف والولاء
44	ب- الجهاد

45	ب-معتقدات العثمانيين الدينية
46	5- مظاهر التحالف والولاء
46	ت. الوظائف
48	ث. الاحترام
49	ح. المراسلات والزيارات
50	د-الإعفاء من الضرائب
51	هـ-منح الاقتطاعات
52	و-المصاهرات
53	6-نتائج التحالف والولاء
54	ثانيا: التوتر والعداء
54	3-مظاهر التوتر
54	أ -السجن
55	ب -النفى
56	ج - العزل
56	د -القتل
57	هـ -المصادرة
57	و-سياسة التفرقة
58	4-نتائج وانعكاسات العداء بين العلماء والسلطة:
61	المبحث الثاني: علاقة العلماء بالمجتمع ودورهم الاجتماعي
61	أولاً: العلماء والآفات الاجتماعية
63	ثانيا: العلماء والمرأة
67	خاتمة

فهرس المحتويات

71	الملاحق
75	قائمة المصادر والمراجع
87	فهرس المحتويات

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

عرفت مدينة قسنطينة عبر مسارها التاريخي قيمة سياسية واقتصادية وتاريخية ساهمت في التأثير على واقعها الديني والفكري، حيث كان العلماء والفقهاء جزءا من هذا الواقع الذي لعبوا فيه دورا بارزا مهد لبروزهم وتبوئهم مكانة ذات أبعاد دينية وعلمية اتخذت بعدا صوفيا، وقد بينت الرحلات العلمية المكانة المرموقة التي كان يحظى بها العلماء في قسنطينة، كما يذكر البلوي في رحلته ولقائه بشيوخ قسنطينة وطلبه الإجازة العلمية عنهم واصفا إياهم بذوي السؤدد، وقد أثمر نشاطهم الفقهي بتوالي علماء من خارج المدينة عليهم لأخذ العلم.